

جوكهان هورزوم





ترجمها عن التركية
أحمد زكريا
&
ملاك دينيز أوزدمير



مكتبة 1160



Ç U K U R



جوکهان هورزوم

Ç U K U R

جوكهان هورزوم



ترجمها عن التركية

أحمد زكريا

&

ملاك دينيز أوزدمير



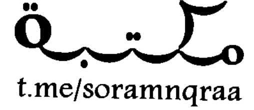
1160 | مكتبة

t.me/soramnqraa



Novel	رواية
ÇUKUR, YAMAÇ'IN DÖNÜŞÜ	**الحفرة، عودة ياماتش**
GÖKHAN HORZUM	**جوكهان هورزوم**
Translated it from Turkish by:	ترجمها عن التركية:
Ahmed Zakaria & Melek Deniz özdemir	أحمد زكريا & ملاك دينيز أوزدمير

13 5 2023

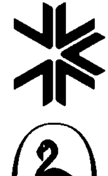


جميع الحقوق محفوظة للناشر
منشورات فلامنكو للترجمة والتوزيع
منشورات SNOW للترجمة والنشر
جمهورية العراق - بغداد

نقال:
00964 770 981 4644
00964 771 117646
البريد الالكتروني:
info@flamingopupl com

إن منشورات **فلامنكو** ومنشورات **SNOW** غير مسؤولة عن اراء المؤلف وأفكاره وإنما يعبّر الكتاب عن اراء مؤلفه

التصميم والإخراج الفني: **ماهر عدنان**

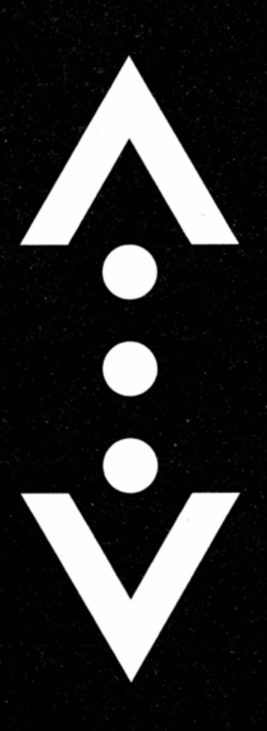




الطبعة الأولى 2022
الترقيم الدولي ردمك (ISBN)
978-9922-9665-2-6

ÇUKUR

YAMAÇ'IN DÖNÜŞÜ



GÖKHAN HORZUM



لكلٍّ منّا في هذه الحياة غُشٌّ، وعشُّنا هو الحفرة. نفتح عيوننا في الحفرة، ونتنفس آخر نفس في الحفرة. عندما يقع البلاء على رؤوسنا نلقي بأنفسنا في الحفرة، حتى إذا لم نكن نعرف بعضنا البعض...

يظنون أن الحفرة في إسطنبول، لكنهم لا يعرفون أن إسطنبول هي التي في الحفرة.



إدريس

هنا مكان بداية كلّ شيء. قبل أن يصبح إدريس كوتشوفالي والداً للحفرة كان بائعاً في السوق، وعندما واجه مع باشا وعَمّي عشرين شخصاً، كان إدريس وقتها بائعاً في السوق أيضاً، وعندما ضرب هؤلاء الثلاثة عشرين شخصاً، وقَبِل مساعدة ربّ أسرة لديه مشكلة، كان أيضاً إدريس بائعاً في السوق. ولذلك، فإن مكان السوق يحظى بأهمية كبيرة عند إدريس كوتشوفالي، وهذا ليس سوقاً عادياً. قبل قليل جاءت امرأة يحبها إدريس كثيراً، جاءت من الماضي، وتحديداً منذ ٣٨ سنة، وهي المرأة التي اضطر لقتلها بسبب الحفرة. وبدأت الحكاية.

أبناء إدريس كوتشوفالي

سوق الحفرة

إدريس:

- أبنائي لم يأكلوا فاكهة جيدة يوماً ما، لكنني لا أعرف ماذا يُطعمون أولادهم. وفي الأساس لا أتدخل في هذه الأمور.

هالة:

- كم لديك من الأبناء؟



إدريس:

- ابني الكبير جُمعالي.

كانت هالة قد بحثت في هذا الموضوع من قبل، وقالت:

تعني الذي في السجن...

نعم هو، لأنه قبل عشر سنوات سار بلا تردد في طريق هو يعلم أن آخره السجن. فقد علّمه إدريس أولاً فعل ما يجب فعله لحماية العائلة. وعائلة كوتشوفالي لا ينسون الإحسان إليهم أو الإساءة...

في السجن

كان أحد السجناء يصنع قهوة فوق بوتاجاز صغير في عنبر السجن بالجزء المستخدم كمطبخ. وبعد أن غلت القهوة مرتين، ملأ الفنجان ووضعه على الصينية. في الجانب الآخر من العنبر، كان يجلس شخص آخر يُسبّح على مسبحته. جاء الشخص الذي صنع القهوة ومعه الصينية، وانحنى قائلاً:

- بالعافية يا أخي جُمعالي.

أخذ جمعالي القهوة ببطء.

سوق الحفرة

إدريس:

- ابني الكبير كهرمان.

هالة:

- تعني الذي يدير أعمالك.

لم يرد إدريس، لكنه أومأ برأسه موافقاً.

إذا كان جمعالي في السجن، فيوجد الآن كهرمان. إنه يحب النساء والمرح، لكنه قاسٍ أيضاً، ولكن للذي يستحق ذلك. وبالتأكيد، من الذي يستحق ومن لا يستحق، فهذه أشياء يقررها كهرمان.

المخزن

يضرب كهرمان أحد الرجال، ويقول:

- حسناً، إنهم لم يعالجوك في مستشفى المجانين بباكير كوي. سأقوم أنا بعلاجك الآن. ستخرج من هنا إلى باكير كوي وستقول لهم: "إنكم لم تعالجوني، أخي كهرمان هو الذي عالجني. من الآن بمجرد أن أرى طفلاً في الشارع سوف أهرب على الفور". هل فهمت ما قلت؟

سوق الحضرة

هالة:

- ولديك ابن آخر اسمه سليم على ما أظن.

إدريس:

- نعم، صحيح. سليم أصغر من كهرمان.

سليم... الابن الذي لا رجاء منه. بعد ولادته مباشرة مرض مرضاً شديداً، وكتب قدره بنفسه. مرّت طفولته مع المرض. ومثلما جاهد إدريس كوتشوفالي حتى يصل إلى هذا اليوم، فإن أبناءه كذلك أيضاً. وبالتأكيد يجب أن يكون أبناؤه مكافحين مثله، لكن سليم...

لا يتحدث سليم كثيراً، ولا يمكن تخمين الأشياء التي يفكر فيها. يخاف من والده خوفه من اللّه أو كان يخاف ...

سوق الحضرة

هناك عجوز تقف أمام عربة البرتقال وتختار منه.

قال سليم:

- ماذا تفعلين يا خالة؟ إذا كنتِ ستشترين فأهلاً بكِ وإلا فاذهبي.

العجوز:

- سأقول لوالدك كل هذا.

سليم:

- أخبريه سلامي.

غضب سليم أثناء ذهاب المرأة، لأنها من الممكن أن تخبر والده بالفعل، فنادى على أحد الحراس ووضع البرتقال في كيس وأعطاه له قائلاً:

- هل ترى هذه المرأة. اذهب واعطها هذا الكيس سريعاً، وقل إن سليم هو الذي أرسله.

فعل الحارس عدنان ما طُلب منه ثم قال سليم لنفسه: "اللعنة على هذا العمل. كفى".

في هذه الأثناء كانت هالة ما زالت تجلس مع إدريس، وكانت تريد أن تسأله سؤالاً لكنها لم تمتلك الجرأة على ذلك.

قال إدريس مبتسماً:

- ماذا حدث؟

- ذكرتَ أولادك الثلاثة.

- نعم.

- سمعت أن لديك ابناً آخر.

- ما سمعتيه خطأ.

ياماتش

الحياة تحب كثيراً المزاح السيئ. مثلاً، لأنك لا تمتلك خمسة قروش في جيبك، تسير لساعات تحت المطر، وعندما تصل، تجد رزمة نقود في جيب معطفك أو في اليوم الذي تربح فيه من اليانصيب مبلغاً كبيراً تتلقى خبر إصابتك بالسرطان أو في اليوم الذي تتحدث فيه عن سخافة الحب تلتقي بحب حياتك في نفس ذلك اليوم، وفوق ذلك، تكون قد مارستَ الحب مع امرأة أخرى قبل نصف ساعة.

رأى ياماتش ثناء، لكنها لم تره. إنه لا يعرف الآن، لكنه لن يرى امرأة في حياته مرة أخرى مثلما رأى ثناء.

خرج ياماتش من البار، كان أمام البار بعض الذين يدخنون السجائر. نظر حوله ثم رأى ثناء من بعيد. كانت ترتدي معطفاً أسود جلدياً قصيراً. كانت هي أيضاً تدخن سيجارة، ذهب ياماتش ووقف أمامها ولم يقل شيئاً وهو ينظر إليها بإعجاب. نظرت إليه بدهشة وكأنها تريد أن تسأله سؤالاً.

نظر إلى وجهها قائلاً:

- فنيلاتيلامين.

نظرت إليه بدهشة وكأنها لم تفهم قصده، وقالت:

- لم أفهم.

- فنيلاتيلامين... يوجد في الجهاز العصبي للثدييات.

- حسناً، وماذا يفيد هذا الفنيلاتيلا لا أدري ماذا؟

- يجعل الدوبامين والنور أدرينالين في جسدنا، وهذا الأخير يرفع التركيز ويجعل نبض القلب أسرع، ويجعل الإنسان يشعر وكأن أحداً ضرب على بطنه، ويجعل حبات العين تتسع، والعيون لا ترى شيئاً آخر.

حاولت ثناء أن تفهم الأمر، لكنها استمرت وكأنها لم تفهم، وقالت:

- حسناً، لكنني لم أفهم شيئاً حتى الآن.

- كم وزنك؟

- ٤٢ كيلوجرام.

- أنتِ الآن ٤٢ كيلوجرام من الشيكولاتة. وتخيلي لو أن أحداً أكل كل هذه الكيلوات من الشيكولاتة فبماذا سيشعر؟ إنني أشعر بنفس هذا الشعور.

- شكراً لك، لكنني لم أفهم قصدك تماماً.

- إنني وقعت في حبك. إننا سنعيش حياتنا معاً، وسنكون سعداء للغاية.

اندهشت ثناء، وقالت وهي تبتسم:

- أنت متأكد من نفسك إلى هذه الدرجة.

- كيف يعني، ألستِ متأكدة من ذلك؟

- سأدخل الآن.

- حسناً، ادخلي. لن أدخل الآن حتى لا تظني أنني أتيتُ كالأبله من خلفك. إلا أننا سنخرج من هنا معاً في آخر الليلة.

كان ياماتش يتحدث وهو واثق من نفسه. دخلت ثناء وهي مندهشة، وياماتش يضحك من السعادة ثم دخل خلفها وتبادلا النظرات وهما يبتسمان.

ياماتش هو أصغر أبناء إدريس المُسنّ الذي لم يعد يتذكر حتى اسمه. يعيش ياماتش حياة مختلفة تماماً في مكان مختلف بإسطنبول... ليست المرة الأولى التي يقع فيها في الحب، لكن هذه المرة مختلفة. لم يكن يعرف ما تخفيه له الحياة، لأن شخصاً يُدعى سعد الدين جاء إلى الحي.

كان إدريس جالساً في المقهى بالحفرة، وكأنه متقاعد ولم يعد يهتم كثيراً بإدارة الأعمال. هو الذي يقرر، وابنه كهرمان هو الذي يقوم بالتنفيذ مع رجلين آخرين يساعدانه في كل شيء، وهما في عمر إدريس تقريباً، وفي هذا الطريق معه منذ البداية. أحدهما يُدعى عمّي، وهو صديق إدريس منذ الشباب، والآخر باشا وهو قريب أيضاً من إدريس وحضر جميع الاحتفالات بختان أبناء إدريس، وكان شريكاً لإدريس في عمله ومحل ثقته.

كانا باشا وعمّي يجسلان بجوار إدريس، وفي الخلف يقف كهرمان وسليم. في هذه الأثناء، دخل فارتولو ومن خلفه مدد إلى المقهى، وفجأة توقف فارتولو، فهي المرة الأولى التي يرى فيها إدريس وجهاً لوجه. وكانت العواصف تهبّ داخل فارتولو،

فحاول استجماع نفسه، وجلس في الكرسي المواجه لإدريس، وقال:

- السلام عليكم.

ردّ إدريس السلام، فقال فارتولو:

- لقد وافقتَ على لقائنا يا آغا، ليرضَ اللّٰه عنك.

حيّاه إدريس بهزّ رأسه قليلاً، لكنه لم يفعل أكثر من ذلك، لأنه يعرف أنها مقابلة عمل وأن فارتولو يريد منه شيئاً.

قال فارتولو:

- اسمع يا آغا، لقد أخذوا مكان عملنا. هجمت شرطة مكافحة المخدرات، وأوقفوا حالنا. ولم يسمحوا لنا بالعيش في المكان الذي نجد فيه لقمة عيشنا.

ردّ إدريس:

- حمداً للّٰه على سلامتكم.

قال فارتولو:

- سلمتَ يا آغا. جئنا إلى إسطنبول بلا حيلة. يقولون إن ترابها ذهب. فقلنا إنه من الممكن

أن تُعطينا إسطنبول لقمة عيشنا أيضاً. لقد مرّ عام على ما حدث، والحمد لله لم يتركنا أبناء بلدتنا الذين جعلونا كما كنا من قبل. في الحقيقة، إن عملي في المخدرات التي يقولون عنها لعنة. والجميع يعرف أن من يبدأ في تعاطي المخدرات لا يستطيع أن يترك هذا الطريق، لكن هذا البلاء لا يتركك أيضاً لو كنتَ صانعاً للمخدرات. إننا جهلاء، ونفعل ما نستطيع فعله، وليس بإمكاننا أن نعمل هذا العمل في كل مكان. لقد بحثتُ وعرفتُ أن حي الحفرة يعود إليكم، وما شاء الله، لا يطير طير هنا دون إذنكم. والخبر يطير إليكم قبل أن تأتي الشرطة، وأهل الحي جاهزون بكلمة منك لحرق كل العالم. لم أر في حياتي حيّاً مثل هذا الحي من قبل.

قال إدريس:

- شكراً لك. حسناً، وماذا تريد مني؟

ردّ فارتولو:

- أريد أن تعاملني مثل أبنائك، وأن تعطيني مكاناً هنا، وليس مهماً إذا كان فوق الأرض أو تحت الأرض أو حتى إسطبل، والباقي عليَّ. أنت ستكون في بيتك بين أحفادك وأنا سآتي لك

بحقائب النقود كل أسبوع. ومثل الأمريكي الذي كان يحرق نقوده للتدفئة على كثرتها، افعل أنت ما تشاء بنقودك. هذا هو طلبي يا آغا، فما رأيك؟

قال إدريس:

- انظر يا سعد الدين بك. هنا حيُّنا، وكل الناس هنا خلفنا دائماً، ولكن يوجد سبب لهذا. إنني أحمي أرواحهم وأملاكهم. وهم أيضاً يحافظون على روحي وأملاكي.

ردّ فارتولو:

- لا تفهمني بشكل خاطئ يا آغا. إنني لن أبيع شيئاً هنا، حتى إنني لن أبيع شيئاً في تركيا، سوف أرسل البضاعة مباشرة إلى أوروبا.

كانت مقاطعة فارتولو لكلام إدريس شيئاً معيباً بالنسبة للآغا، ورغم ذلك لم يقل إدريس شيئاً، لكن فارتولو سكت قليلاً وهو ينتظر أن يعود إدريس إلى الحكي.

قال إدريس:

- نعم، يُباع السلاح في حيّنا، كما يذهب البعض لسرقة أشياء من الأحياء الغنية، حتى إن

بعضهنّ يخرجنَ ليلاً لبيع أجسادهنّ في البارات، ولكن عندما يرجع الجميع إلى بيته، فإنهم يعرفون أنهم آمنون. المسألة ليست في بيعك هنا أم لا، ولكن الأمر غير مناسب لنا. وموضوع المخدرات ليس مناسباً لحيّنا.

وقف إدريس بما معناه انتهاء المقابلة، ووقف الجميع من حوله.

قال إدريس:

- عملاً موفقاً لك.

مدّ إدريس يده، واضطر فارتولو أن يمد يده للسلام، رغم أن علامات الاستياء كانت واضحة على وجهه، لأنه يعرف أن إدريس هو ملك الحفرة.

قال فارتولو:

- حسناً يا آغا، ماذا أقول لك؟ ليكن خيراً. شكراً لأنك استمعت إليّ. إنني جلست مع الآغا إدريس وهذا يكفيني. شكراً لك.

خرج فارتولو من المقهى غاضباً ثم جلس إدريس وجلس كل من حوله.

سأل إدريس:

- ماذا تقولون؟

قال عمّي:

- إنني لم أحب هذا الشخص منذ أن جاء إليّ.

قال إدريس:

- وأنتَ ما رأيك يا باشا؟

قال باشا:

- هذا الشخص لن يستسلم. إنك طردته من الباب لكنه سيحاول الدخول من المدخنة.

نظر إدريس إلى كهرمان بما يوحي بأنه ينتظر رأيه أيضاً، فقال كهرمان:

- نحتاج إلى سيولة نقدية يا أبي.

قال إدريس:

- لا أريد. أي نقود تأتي من هذا الشخص لا أريدها.

ردّ كهرمان:

- حسناً، ولكن أنت تعرف أننا لا نعطي الشيك إلى تاجر الأسلحة.

قال سليم:

- الرجل يحتاج حماية فقط يا أبي، ولن نتدخل في أي شيء.

ردّ إدريس:

- لا تتحدث على الإطلاق. منذ شهرين لم تأت الإتاوة من البارات، هل أذهب لجمعها بنفسي؟ أنت تتحدث عن سيولة نقدية يا كهرمان، وانظر إلى سليم، لا يقوم بعمله وأنتَ لا تقول له شيئاً.

غضب سليم من حديث والده كثيراً، ولم يستطع كهرمان أن يرد أيضاً. وقف إدريس والتفت إلى باشا وعمّي الذي ينادي عليهما ب-"كومندان"، وقال:

- ليكن الجميع حذراً. سيأتي إليّ خبر كل من دخل وخرج من الحي. فارتولو شخص طموح، ولم يرفض أحد طلباً له حتى الآن. ويبدو أنه لن يترك هذا الأمر أبداً.

خرج إدريس مع باشا وعمّي دون أن ينتظر رداً من أحد.

قال سليم لكهرمان غاضباً:

- شكراً لك يا كهرمان.

ردّ كهرمان:

- ماذا حدث؟

قال سليم:

- من جديد لم تدافع عني. وسمحت لإدريس كوتشوفالي أن يأكلني.

ردّ كهرمان:

- لا تتحدث وكأنك لا تعرف والدنا...

أحياناً ينقسم النهر إلى فرعين، ويصبّان في أماكن بعيدة وكأنهما لن يجتمعا مرة أخرى. ولكن في الأساس، يقترب وقت اتحادهما. الفرح والوجع قريبان مثل أخيّن، لكن لا يسمع أحدهما صوت الآخر.

كان ياماتش وثناء يضحكان ويُمسكان بيدِ بعضهما البعض مثل مراهقي المدارس الثانوية. قال ياماتش:

- هل اشتقتِ إليَّ كثيراً؟

ردّت ثناء:

- من أين أتيتَ بهذا؟

- ظننتُ أنكِ ستأتين إلى البار في المساء، لكنكِ

جئتِ الآن.

لم ترد ثناء، فقال من جديد:

- فهمت، ظننتِ أنني سأختفي.

- لا علاقة لهذا بالأمر.

- حسناً، لماذا؟

وضعت ثناء رأسها على صدره، وقالت:

- وما شأنك أنت؟ الشمس تغرب الآن، انظر إلى المشهد الجميل.

- حسناً، ولو كنتُ اختفيتُ بالفعل أو تبخّرتُ فهل كنت ستجدينني؟

- نعم بالتأكيد، حتى إذا ذهبتَ إلى آخر الدنيا كنتُ سأجدك بالتأكيد. إذا أردتُ أن أجدك فسوف أجدك.

مال نحوها وقبّلها ثم قال:

- إنني لن أذهب إلى أي مكان، فلا تقلقي. ليس في نيتي أن أتركك.

حلّ الصمت قليلاً ثم قالت ثناء:

- هل لديك أي تصور أو خطة عن الحياة في

المستقبل؟

- ثلاثة أطفال؛ الأولى بنت والثاني ولد والثالثة بنت أيضاً، وإذا لم أحب الولد فسوف أطرده من البيت. وسأكوّن فرقة موسيقية مع البنات ونلف العالم بأكمله.

- وماذا ستفعل الأم يا ترى؟

- تفعل هي مع ابنها ما تشاء، ما دخلي أنا؟

- وأنتِ، ما هو أكبر أحلامك؟

- لا يوجد.

- كيف لا يوجد، يوجد لديكِ حلم بالتأكيد.

- والله ليس لدي.

- إنني أصر على أن أعرف.

قالت ثناء أول شيء خطر ببالها:

- حسناً سأقول. أن يكلفني أحد بالزواج وأنا آكل فطيرة الكومرو في مطعم بباريس.

- هل تريدين مطعماً فاخراً في باريس أم أي مطعم؟

- لا، ليكن مطعماً عادياً للعائلات.

ضحكت ثناء واستمرت في حديثها:

- إنني لم آخذ الحياة على محمل الجد أبداً لدرجة أنني أحلم بشيء.

عانقها ياماتش وهو يبتسم وقبّلها من شعرها قائلاً:

- ولهذا أحبك جداً. أنتِ مثل دمية ماتريوشكا. في كل حديث بيننا تخرج منكِ ثناء جديدة.

ضحكت ثناء وقالت:

- انتظر، لم تر شيئاً بعد.

كان يحدّق فيها وهو يقول:

- هل أنتِ من إزمير؟

- هل فهمت من فطيرة الكومرو؟

- نعم.

- نعم أنا من إزمير. من منطقة جوز تبة.

- واو.

- نعم.

- هل تلاحظ أننا نلتقي دائماً عند شروق

الشمس أو غروبها؟

- لاحظتُ وأحب هذا جداً.

مقتل كهرمان

دخل إدريس إلى المطبخ، ورأى عليشو من الباب المؤدي إلى الحديقة. لم تكن سعادات ترغب في إدخال عليشو فخرج إدريس إليه وقال:

- ماذا حدث يا عليشو؟

- مات أخي كهرمان يا بابا.

حاول إدريس أن يمسك نفسه كي لا يبكي فقال عليشو:

- كانوا يراقبونه يا بابا، انتظروه في الخارج.

- ومن أين عرفتَ؟

نظر عليشو إلى سعادات ولم يرد على سؤاله، فقال إدريس:

- اخرجي الآن يا سعادات.

دخل إدريس مع عليشو وجلسا على طاولة المطبخ ثم قال إدريس:

- هل كنتَ هناك يا عليشو؟

- كنتُ أجمع قناني الماء من أمام الفندق يا بابا.

كان عليشو يجمع القناني من أمام الفندق، وفي هذه الأثناء خرج كهرمان مع سليم ثم أحضر حارس الفندق السيارة وقال سليم:

- هل سنذهب أم لا؟

قال كهرمان:

- ألم نقل إننا سنذهب.

- وماذا ستقول لوالدنا؟

في هذه الأثناء كان أحدهم ينادي باسم كهرمان فالتفت ناحيته، وبدأ بعض رجال فارتولو بإطلاق النار على كهرمان، وهرب كل من في المكان. ولأن كهرمان كان أمامهم تماماً فقد أصبح هدفاً لرصاصهم. ولأن سليم كان في الجانب الآخر من السيارة فلم يُصبه الرصاص. استلقى سليم على الأرض وأخرج المسدس من معطفه ولكن لأنه كان خائفاً، ألقى بسلاحه على الأرض ولف يديه على رأسه وانتظر انتهاء إطلاق الرصاص. وبدأ عليشو في الركض نحوهما. أثناء هروب رجال فارتولو ألقى عليشو قنينة على رأس أحدهم، لكنهم ركبوا

السيارة ومضوا على عجل. لم يكن في استطاعة عليشو أن يفعل أي شيء، وكهرمان غارق في دمائه على الأرض. وقف عليشو وهو ينظر إلى جسد كهرمان ثم خرج سليم من مكانه وحاول أن يسد جروح كهرمان وهو يصرخ قائلاً:

- لا تمت يا أخي.

أثناء حكي عليشو هذه الأشياء لإدريس، حاول الآغا الوقوف وفي هذه الأثناء دخل سليم وقال:

- لم أستطع أن أنقذه يا أبي. حاولت أن أطلق عليهم الرصاص لكنني لم أستطع لكثرة عددهم. لقد قتلوا أخي.. أنهوا حياته يا أبي.

صرخ إدريس: "ولدي" ثم سقط على وجهه وقد فقد وعيه.

كان سليم يمسك جسد والده وهو يصرخ.

باريس

كانت ثناء تنظر إلى الخارج من زجاج المطعم، وفي هذه الأثناء، جاء ياماتش إلى جوارها. قالت ثناء:

- هل توجد قائمة طعام بالإنجليزية هنا يا ترى؟ إنني لم أفهم شيئاً من هذه القائمة.

- لا تقلقي أنا طلبتُ الطعام.

- متى طلبتَ؟ وأنتَ تعرف أيضاً أنني لا آكل الحلزون أو ما شابه.

- هل أنت مجنونة؟ لقد طلبتُ شيئاً آخر.

- ولا آكل أرجل الضفدع ليكن لديك علم.

- إذن لنذهب إلى مكان آخر. سأجد كبابجي هنا ونطلب سلطة مع الكباب.

- لا تسخر مني.

في هذه الأثناء جاء النادل وفي يده طبق بغطاء من الفضة، فقال ياماتش متحمساً:

- ها قد وصل الطعام.

فهمت ثناء أن هناك لعبة، ونظرت بفضول إلى طبق الطعام ففتحه النادل فوجدت فطيرة الكومرو الإزميرية. امتلأت عيناها بالدموع وحاولت أن تمنع نفسها من البكاء ثم نظرت إلى ياماتش قائلة:

- لن تفعل هذا، أليس كذلك؟

وقف ياماتش وأخذ القدح الذي أمامه وضرب عليه بالسكين فنظر كل من في المطعم إليه ثم بدأ في قول شيء بفرنسية جيدة للغاية ثم بدأ الجميع في التصفيق لهما. حاولت ثناء تغيير الموضوع قائلة:

- لم أكن أعرف أنك تتحدث الفرنسية بطلاقة.

- هناك الكثير من الأشياء التي لا تعرفينها عني. ألن تسألي عمّا قلته لهم؟

قالت ثناء مندهشة:

- كنتَ تتحدث أمس بجدية، وقلتَ إننا سنتزوج اليوم. فماذا قلتَ لهم الآن؟

- قلتُ لهم: سيداتي وسادتي. إنني أحب الفتاة التي تجلس أمامي، وأوشكت على طلبها للزواج، ولذلك أنا مضطرب للغاية وأرجو دعمكم.

أمسك ياماتش بيدها وقال:

- هل تتزوجينني؟

بدأت ثناء في البكاء، وكانت تنظر بابتسامة مندهشة وهزّت رأسها وهي تقول بصوت منخفض:

- نعم.

- ماذا قلتِ؟

- هل يجب أن أقول هذا وأنا أصرخ؟ نعممم.

قال ياماتش بالفرنسية للجالسين إنها وافقت وبدأوا في التصفيق من جديد ثم قبّل ياماتش ثناء وأمسك بيدها وقال:

- هيا لنذهب.

- إلى أين سنذهب؟

- لنتزوج. سنذهب إلى القنصلية التركية إنها قريبة من هنا.

بيت إدريس

جلس سليم في منتصف الصالون وهو يجهش بالبكاء. كان صوت البكاء يأتي من كل مكان في البيت، إلا أن سلطان زوجة إدريس كانت سيدة شديدة الصلابة ولم تكن تبكي. اقتربت من سليم وقالت:

- ستخرج الجنازة من مسجدنا غداً. قل للرجال أن يخبروا أهالي الحفرة.

لم يسمعها سليم واستمر في البكاء، فقالت:

- انظر إليَّ يا سليم.

التفت سليم إليها، وكانت تتحدث معه لكنها تُسمع كل من في الصالون وتقول:

- سنعيش وجعنا داخل هذا البيت. وإذا بكى أحدكم خارج هذا البيت فلن أدخله مرة أخرى، هل سمع الجميع؟

انخفضت أصوات البكاء تدريجياً، وقالت سلطان:

- لن أرى دمعة واحدة خارج البيت. إننا لا نُظهر وجعنا للغرباء.

بيت المزرعة داخل الغابة

صفّ فارتولو ورجاله سياراتهم أمام البيت وأغلقوا أضواءها. كان فارتولو يقف أمام رجاله ومدد من خلفه. في هذه الأثناء وصلت سيارة سليم، ونزل منها متجهاً بسرعة نحو فارتولو، لكن رجاله أغلقوا الطريق على سليم، وقال فارتولو:

- ابتعدوا. اتركوه.

انسحب الرجال فأخرج سليم مسدسه وأشار فارتولو إلى رجاله أن يتوقفوا ثم أمسك سليم

فارتولو من ياقته وألصقه بالسيارة ووضع السلاح على رأسه صارخاً:

- ماذا فعلتَ يا هذا؟ لقد قتلتَ أخي.

في هذه الأثناء جاء مدد نحو سليم ثم أوقفه فارتولو بإشارة من يده لأنه يعرف جيداً أن سليم لن يطلق عليه الرصاص.

قال فارتولو بهدوء:

- هيا اضرب ولينته كل شيء. إذا كنتَ رجلاً فاضرب.

ضغط سليم بالسلاح على رأس فارتولو لكنه لم يطلق عليه ثم بدأ ينسحب بشكل عاجل دون أن يقول شيئاً، ولم يتحدث فارتولو أيضاً ثم صرخ سليم:

- ماذا قلتَ لي؟ لقد قلتَ إنك ستفعل شيئاً ضاراً.

- نعم قلتُ.

- وماذا يعني هذا؟ أن تقتل متين أو كمال أو لنبالغ قليلاً ونقول عمّي أو باشا، ولكن ليس أخي وليس أبي أبداً.

- من هو الأكبر منك في عائلتك يا سليم آغا؟

- لا تتدخل في هذه الأمور.

- كيف لا أتدخل؟ الأكبر منك في هذه العائلة هما كهرمان ووالدك. وإذا لم أفتح لك الطريق في هذه العائلة فلن يُفتح طريقي أنا أيضاً. ماذا كان عليّ أن أفعل، هل كنت أنتظر أن يصبح كهرمان رجلاً مُسناً؟

- لا تذكر اسم أخي على لسانك يا هذا.

حاول فارتولو أن يهدأ لأنه يعرف أن خسارة سليم تعني خسارة الكثير من الأشياء ثم قال:

- حسناً. ليس لي أخ، ولا أشعر بما تشعر به الآن. إنني لم أفعل ذلك عن ضغينة، لكنني كنتُ مضطراً لذلك.

نظر فارتولو إلى الوراء، لم يكن يريد أن يسمعه مدد ثم اقترب من سليم قائلاً:

- ماذا قالوا لنا؟ إذا أردنا أن تصبح الأمور كما نريد فسيدخل جيبنا مليار ليرة. هل رأيت مثل هذه النقود من قبل؟ إنني لم أر، ولكن سأراها إن شاء الله. هل أحب هذا العمل؟ ألا أريد أن أتكئ وتضع امرأة وسادة خلف ظهري،

وتغسل أخرى قدميّ؟ لكننا دخلنا إلى طريق صعب، في أحد طرفيه موت وفي الآخر مليار ليرة.

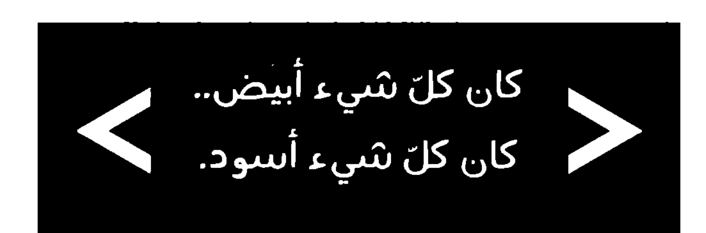
لم يرد سليم، وفعل فارتولو ما أراده بتهدئة سليم وذكّره بشراكتهما، ولذلك كان مزاجه على ما يرام.

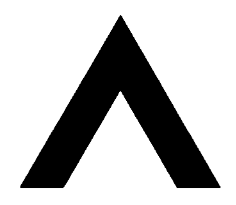
قال سليم:

- العائلة لن تُمسّ يا فارتولو. لن تُمسّ شعرة من أبي وأمي وإخوتي وأولادي. لا تُفقدني أعصابي. أنت لا تعرف طباعنا، إذا غضبنا فمن الممكن أن نحرق الدنيا ولا نبالي.

قال سليم ذلك ثم ركب سيارته ومضى. وقال فارتولو:

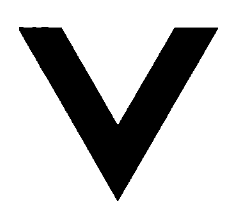
- هذا سوف يحرق الدنيا! إذا أخرجتَ سلاحك فاضرب يا جبان. إذا كنتَ ناراً فأنت تحرق نفسك فقط.





الحياة تحب كثيراً المزاح السيئ. تتزوجين بشخصٍ تعرفينه منذ ثلاثة أيام، وعندما تستيقظين في صباح اليوم التالي تفاجئين باختفائه.

تختلف مع والدك خلافاً كبيراً، وهذا الخلاف يجعلك رجلاً، وتخرج من البيت الذي تربيت فيه، وفي اللحظة التي تقول فيها لنفسك: "لن أكون سعيداً أكثر من الآن". تتلقى خبر وفاة أخيك، وإصابة والدك بالشلل. وتترك المرأة التي تظن أنك ستكمل حياتك معها، في مدينة لا تعرف عنها شيئاً، وتعود إلى البيت الذي قلت إنك لن تعود إليه مرة أخرى.



ياماتش في البيت

كان سليم يجلس في حديقة البيت الخلفية متوتراً، ويقول بصوت منخفض:

- ليساعدنا الله.

في هذه الأثناء، سُمع صوت ياماتش من الخلف:

- أخي.

التفت سليم إليه ولم يعرف ماذا عليه أن يفعل، وفكّر للحظة في أن أمه لا تثق فيه ولذلك استدعت ياماتش. وفي الحقيقة هي ليست مخطئة، فهم لم يثقوا بي من قبل. مجيء ياماتش سوف يرفع من على كتفيّ الكثير من الأحمال، ولكن لن يراني أحد كرئيس للعائلة، واتفاقي مع فارتولو في خطر الآن.

كان سليم يريد أن ينتقم من فارتولو ليصبح رئيساً للعائلة، كما كان يريد أيضاً أن يُكمل طريقه الذي بدأه.

جاء ياماتش بعينين دامعتين وعانق سليم الذي نظر إليه وهو يفكر: "إن هذا الرجل ليس هو الشاب الذي ترك البيت قبل عشر سنوات. لقد صار رجلاً".

تعانقا مرة أخرى ثم قال سليم:

- أهلاً بك يا أخي.

الحفرة تعود إلى أيامها السابقة

كان ياماتش يروح ويجيء في صالون البيت وهو يشعر بعدم الراحة بسبب البدلة التي يرتديها. نظر نحو أمه قائلاً:

- ماذا تريدينني أن أفعل؟

- هنا الحفرة وإذا لم يصبح لها رئيساً فسوف نخسر مكاننا. وإخوتك تفرقوا في الخلافات مع الأعداء، ولم يروا ما يحدث حولنا. يجب أن يعود السلام على الفور.

- لقد قتل الرجال أخي يا أمي. إنهم يريدون الدماء. ألا تريدين الانتقام؟

لم ترد سلطان، فقال ياماتش:

- انظري. أنتِ أيضاً تريدين الانتقام.

- أخشى أن تتفرق عائلتنا حتى يأتي يوم الانتقام. ليس بيتنا فقط، ولكن الحفرة أيضاً.

- أنتِ محقة يا أمي، ولكن ماذا نفعل؟

- أنتَ ستجد حلاً لذلك يا ولدي.

صمتا قليلاً ثم قال ياماتش:

- سليم على حق يا أمي. كم سنة وأنا لم أكن هنا. آخر مرة شاهدوني فيها كنتُ في الثامنة عشر، وسوف يروني كطفل حتى الآن. فلماذا يسمعون كلامي الآن؟

- أنتَ ستجد حلاً لذلك يا ولدي. أنت مضطر أن تفعل هذا حتى أقول إنك ابني بحق. إنني بكيتُ كثيراً عندما ذهبتَ من هذا البيت، لكنني فكرتُ وقلت لنفسي: "على الأقل نجا أحد أبنائي، ولن أخاف عليه من الموت كل يوم". إذا لم تكن مسألة حياة أو موت، هل كنتُ قد استدعيتك؟ انظر، لقد خرج ثلاثة أشخاص من هذا البيت ولم يعد واحد منهم. وحالة والدك غير مستقرة.

عانقت سلطان ياماتش وقالت:

- أنت الوحيد الذي أثق فيه الآن. لا تتركني وحيدة.

كان سليم يسمع كل هذا الحوار من خلف باب الصالون، وكان يشعر بالغيرة وهو يعرف جيداً أنه في الأساس لن يكون مثل كهرمان أو ياماتش. ظلّ

سليم خلف الباب، وسمع ياماتش وهو يقول:

- حسناً يا أمي، سأفعل ما بوسعي. لا تقلقي. ولكن يجب أن تعلمي أنني سأذهب من جديد بعد أن يصبح كل شيء على ما يرام. إنني لا أنتمي إلى هذا المكان، ولم أنتمي إليه يوماً ما.

أضاء وجه سليم الذي يسمع مختبئاً خلف الباب. لم تهتم سلطان بما قاله ياماتش، وردّت:

- لتأتِ فقط هذه الأيام يا ولدي.

- ستأتي يا أمي، لا تقلقي. أنتِ انشغلي بحزنك على ولدك، وأنا سأحل الباقي. ستعود الحفرة إلى أيامها السابقة.

لا يمكنك الهروب من هنا

قبل عشر سنوات تقريباً، كان ياماتش في الثامنة عشر من عمره. أخذه إدريس لأول مرة إلى الغابة لتعليمه استخدام السلاح. وضعت القناني على طاولة، وكان كهرمان وسليم هناك أيضاً، لكنهما مطمئنان لأنهما نجحا في هذا الاختبار من قبل. كانا يقفان في الخلف قليلاً ويضحكان من وراء

والدهما، وياماتش مضطرب كثيراً. ضرب إدريس ياماتش بالمسدس على كتفه وقال له:

- ياماتش.

قاطعه كهرمان قائلاً:

- لا مفر من هذا يا أخي. لا تكن عنيداً.

نظر إدريس إلى كهرمان بحدة، فحاول الدفاع عن نفسه قائلاً:

- لم أقل شيئاً يا أبي.

التفت إدريس نحو ياماتش قائلاً:

- قلت لك خذ هذا المسدس.

- لا أريد يا أبي. لا يمكنني أن أقتل أحداً.

- وهل قلتَ لك اقتل أحداً؟ ستصوّب على القنينة.

- لا أريد يا أبي. ما شأني والسلاح.

- بكل الأحوال ستتعلم هذا. إما معي أو عندما يهجمون عليك بالسلاح، ووقتها ستقول ليتني استمعت إلى والدي.

لم يمسك ياماتش السلاح، وقال إدريس من جديد:

- سيتعلم أبنائي استخدام السلاح. هل سمعتَ؟ أبنائي لن يخرجوا من البيت دون سلاح.

لم ينظر ياماتش إليه ولم يرد عليه. التفت إدريس نحو كهرمان وطلب منه سلاحه وأعطى سلاحه إلى ياماتش غصباً ثم صرخ فيه قائلاً:

- اركض.

- لم أفهم يا أبي.

صوّب إدريس المسدس نحو ياماتش وقال:

- اركض أو اضرب على القناني.

اندهش سليم وكهرمان وكانا ينظران إلى والدهما ليفهما إذا كان جادّاً أم لا، وفي هذه الأثناء أطلق إدريس رصاصة مرّت من جوار ياماتش، ولم يعرف ماذا سيفعل، وقبل أن يُطلق إدريس مرة أخرى، بدأ ياماتش في إطلاق الرصاص على القناني بكثافة لكنه لم يصب حتى واحدة، وبعد انتهاء الرصاص ظل ياماتش يحاول التصويب ثم ألقى السلاح على الأرض قائلاً:

- إنني لستُ مثلكم. لن أقتل أحداً.

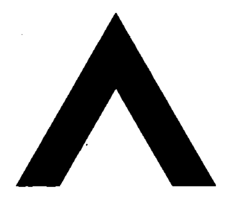
أمسك إدريس ياماتش من قفاه، ووجهه نحو كهرمان وسليم قائلاً:

- لقبُ عائلتنا كوتشوفالي. لم نصل إلى ما وصلنا إليه بطريقة عادية. لقد كسرنا أيادٍ عندما تطلّب الأمر ذلك. لدينا أعداء يفهمون من أنفاسنا إذا كنا خائفين أم لا. نحن أمام السلاح كل يوم؛ إخوتك وأمّك وأنا، فماذا ستفعل أنت، هل ستتوسل إلى أعدائنا وهم يطلقون علينا الرصاص؟

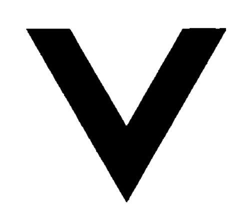
تخلص ياماتش من يد والده، وركض من بين سليم وكهرمان نحو الغابة. صرخ إدريس من خلفه قائلاً:

- أنت مثلنا. أنت واحد منّا، من دمنا. اهرب كيفما شئتَ، لكنك لن تهرب من هذا.





أنا ياماتش.. ياماتش فقط. لست ياماتش بك، ولست البابا ولا الزعيم. إنني ياماتش فقط. أردت شيئاً واحداً في حياتي، وهو العيش مع المرأة التي أحب بسعادة حتى الموت، ولكن لم يحدث. والذين ظننت أنك تركتهم خلف ظهرك، سيتابعونك حتى الموت. لقد تعلمت هذا. دخلت النار بعينين مغلقتين، ونسيت نفسي وحاربت من أجل الجميع، لكنني لم أشك ولم أتعب. يوماً ما ستنتهي هذه الحرب ثم سأخرج من هذا البيت، مثلما خرجت قبل سنوات. وعدت نفسي بذلك. أنا ياماتش.. ياماتش فقط. لست ياماتش بك، ولست البابا ولا الزعيم. إنني ياماتش فقط.



يشبه والده في شبابه

كانوا يجلسون في البيت بنفس الغرفة التي يجتمعون فيها، قال باشا:

- إنني أحبك يا ياماتش، ولكن في الحقيقة، هذه الأمور ليست من الأشياء التي تعرفها. ابق أنت بجوار أبيك وأمك، ونحن سنحل هذا الأمر.

كان عمّي ينظر إلى باشا غاضباً ثم قال بحدة:

- توقف يا باشا.

- لماذا؟

- لقد جمعتَ كل الرجال وذهبتَ إليهم، هل تصير الأمور بهذه الطريقة؟

- هذا ما أعرفه. في المرة القادمة تصرف أنت وسوف نرى. إننا لا نلعب.

غضب عمّي كثيراً، ووقف وهو ينظر بحدة إلى باشا ثم قال:

- هل تعي ما تقوله يا باشا؟

وقف باشا أيضاً ونظر بنفس الحدة إلى عمّي، وفي هذه الأثناء حاول سليم أن يدخل بينهما، وقال:

- حاولوا أن تهدأوا قليلاً.

لم يهتم أحد لكلام سليم، وارتفع صوت باشا وعمّي فلم يتحمل ياماتش فضرب على الطاولة بشدة وسُمع صوت الضربة التي تشبه الرصاص. نظروا جميعاً نحو ياماتش، ودون أن ينتبه، وقف ياماتش خلف الطاولة مكان والده وقال:

- اجلس يا باشا أنت وعمّي.

لم يجعلاه يكرر كلامه ثم قال ياماتش:

- لن يتم هذا العمل بالطريقة التي تعرفونها.

كاد باشا أن يقول شيئاً فصرخ ياماتش قائلاً:

- لم أنه كلامي بعد.

أخرج ياماتش كرة بلياردو من جيبه ووضعها على الطاولة قائلاً:

- غداً ستكون رؤوسكم محل هذه الكرة. مات أخي، وجثته ما زالت في المشرحة. قولوا لماذا؟ قل لماذا يا سليم؟

قال سليم:

- لأنهم من الممكن أن يهاجموا الجنازة.

صرخ ياماتش وكأن صوته سيهدّ البيت:

- هل هذه هي قوتنا؟ هل وصلنا إلى أن الكوتشوفاليين غير قادرين على دفن جنازتهم؟ هل هذه هي قوتكم؟ انتهى، كفى. لقد استمعت إليكم، ولكن من الآن أنتم ستستمعون إليّ. لا يوجد هجوم من الآن حتى أخبركم. ومن سيضع رصاصة واحدة في سلاحه سوف أقتله. هل سمعتم؟ إذا كنا سنهاجم فسوف نهاجم مرة واحدة. سنصبر حتى يظنوا أننا انتهينا، ويرتاحوا ثم نضرب مرة واحدة تقضي عليهم.

خرج ياماتش من الغرفة دون انتظار ردهم. وتبادل باشا وعمّي نظرات الفخر فيما بينهما، وكأنهما لم يتشاجرا قبل قليل ثم قال باشا:

- يشبه والده في شبابه.

رد عمّي:

- أخذتها من على لساني أما سليم فكان ينظر غاضباً نحو الباب الذي خرج منه ياماتش.

لا أحب استخدام العنف

بعد الهجوم على بيته، انتقل فارتولو إلى بيت آخر. كان يجلس في الصالون على كرسي أحمر من القطيفة وكأنه يجلس على العرش، ويقول:

- لم يقولوا لنا ذلك. قالوا إنه أمر سهل كسلِّ الشعرة من العجين، لكن الأمر ليس كذلك. إنني لا أحب العنف. أليس كذلك يا مدد؟

- نعم، أنت لا تحب العنف يا أخي.

- إنني أريد أن تُحلّ الأمور كلها بسلام، لكنهم لا يسمحون بهذا. لو كان لدي عمل آخر هل كنتُ سأقوم بهذا العمل؟ هل كانت جامعة أوكسفورد في مدينة فارتو ونحن لم نذهب إليها؟ قل أنت يا مدد.

- نعم يا أخي، لم تكن في فارتو.

- بالتأكيد لم تكن موجودة. إننا نسعى خلف لقمة عيشنا. لو كان إدريس قد قَبِل لكنا أسسنا معملنا هنا وبدأنا عملنا.

ياماتش في الحفرة

اضطر ياماتش أن يعود إلى الحفرة. لم يكن لديه خيار آخر، لأن أمان عائلته صار مهدداً. إلا أنه أصبح لديه عائلة أخرى، وعقله متعلق دائماً بها. كيف سيكشف لثناء عن ماهيته. ومهما حدث فإنه لا يستطيع البقاء بعيداً عنها، مع أن عليه الابتعاد.

دخل ياماتش إلى المطبخ، ورأى عليشو جالساً كعادته في نفس المكان الذي يجلس فيه بجوار إدريس، وهو يرتجف قليلاً وعيناه تتحركتان كأنه يقرأ شيئاً. قال ياماتش:

- أهلاً بك يا عليشو.

- كيف حال بابا؟

- إنه يعيش بفضلك.

- حسناً.

- ماذا يمكنني أن أعطيك يا عليشو، ماذا تريد؟ هل تريد مالاً أم بيت؟

- لا أريد شيئاً، ليتم الله شفاء بابا وكفى.

- كيف عرفتني؟

- إدريس بابا أراني صورتك.

- متى أراك إياها؟

- في السادس من آذار ٢٠١٦.

- يعني قبل ثلاثة أشهر.

هزّ عليشو رأسه قليلاً بما يعني الموافقة، وفهم ياماتش أن عليشو لديه مواهب خاصة. في هذه الأثناء دخل عيسى، وأكمل ياماتش حديثه مع عليشو قائلاً:

- أمام البيت يوجد ثلاث سيارات هل تعرف أرقام لوحاتها؟

ذكر عليشو الأرقام بشكل صحيح، والتفت ياماتش بدهشة وقال عيسى:

- نعم يا أخي. إنها أرقام سياراتنا.

أشار ياماتش لعيسى لكي يخرج ثم قال:

- هل رأيتني من قبل يا عليشو؟

- نعم، خمس مرات. في الثالث من أيلول عام ٢٠١١ كنتَ تركب الباص من باشكتاش، وفي الحادي عشر من شباط عام ٢٠١٥ كنتَ خارجاً من بيت بجيهانجير في الثانية صباحاً،

وقبل ١٢ يوماً كنتَ تتحدث مع فتاة في باي أوغلو، وقبل ١٠ أيام كنتَ تدخل مصنع أدوية في أورتاكوي، ورأيتك اليوم أمام المستشفى.

- أنتَ لا تنسى شيئاً، أليس كذلك؟

- لا أنسى.. لا أنسى.

- حسناً، هل تتذكر الفتاة التي كنتُ أتحدث معها أمام البار؟

في هذه الأثناء أخرج ياماتش الهاتف من جيبه وأراه صورة ثناء فلم ينظر عليشو إلى الهاتف وقال: أتذكر.

- سأعطيك عنوانها الآن. هي ليست في البيت الآن. لقد ذهبت إلى هناك أكثر من مرة ولم أجدها. هل من الممكن أن تخبرني عندما تأتي إلى البيت.

هزّ عليشو رأسه موافقاً، وقال ياماتش:

- حسناً، فلتذهب الآن. أعطني خبراً عندما تأتي الفتاة.

- حسناً.

في بيت ثناء

قالت ثناء:

- لا أستطيع أن آتي معك. ولا أريد أن تذهب. لا يمكنك أن تبقى هنا، فماذا أفعل الآن؟ أنتَ ستذهب وأنا سأجلس أنتظر اتصالك وقدومك. لا أريد حياة كهذه، ولذلك اذهب الآن ولا تأتي إلى هنا مرة أخرى.

كاد ياماتش أن يرد عليها لكنه رأى سليم على سطح البناء المقابل، وأثناء تفكيره إذا كان ما يراه حقيقة أم خيال، لاحظ ظهور أطراف الأسلحة من الناحية الأخرى في البناء الذي فيه سليم. أمسك بثناء على عجل، وخرج بها من الصالون، وفي هذه الأثناء، كان زجاج نوافذ الصالون يتكسر من الرصاص، وبدأت ثناء تصرخ وهي خائفة.

أمام بيت إدريس

وقفت ثلاث سيارات أمام بيت إدريس، ونزل من السيارتين الأولى والثالثة بعض الحُرّاس المسلحين، وبدأوا ينظرون حولهم ثم نزل ياماتش مسرعاً من

السيارة الثانية، ونظر هو الآخر من حوله ثم مال على السيارة وقال:

- هيا انزلي.

كانت ثناء تلف بطانية حولها، ولم تكن فاقت من أثر الصدمة بعد. هزّت رأسها بما يوحي بعدم الموافقة، ولم يكن لياماتش طاقة ليتحمل دلالها الآن، فأمسكها من ذراعها بقوة وأخرجها من السيارة قائلاً:

- قلتُ لكِ انزلي.

حاولت ثناء أن تفلت من يده، وقالت:

- اتركني. ماذا تفعل يا ياماتش، دع ذراعي.

نفد صبر ياماتش فقام بحملها، ليس برومانسية ولكن بشكل بدائي. دخل البيت ثم حاول إدخالها بالقوة إلى إحدى الغرف، فقالت:

- هل أنت مجنون؟ إنني لن أبقى هنا.

كانت المرة الأولى التي يغضب فيها ياماتش هكذا، صرخ لدرجة أنها ارتجفت من الخوف وقال:

- ستجلسين في هذه الغرفة حتى تصيرين أهدأ، ولن تخرجي منها حتى أقول. إنني أذهب الآن

لأحرق روح أحدهم.

خرج ياماتش من الغرفة قبل أن يعطي ثناء فرصة لترد عليه ثم أغلق الباب من الخارج ثم بدأت ثناء تضرب على الباب وتقول:

- ماذا تفعل يا ياماتش. أخرجني من هنا.

نزل ياماتش من على الدرج مسرعاً، ورأى أمه فقال لها:

- أين أخي؟

ردت سلطان:

- لم يأت بعد.

في هذه الأثناء دخل باشا وعمّي فقال ياماتش صارخاً:

- ليسمعني الجميع. المرأة التي في الأعلى هي زوجتي.

اندهش الجميع ولم تجد سلطان ما تقوله ثم قال ياماتش:

- لن يفتح لها الباب أحد حتى أقول. لن تخرج خطوة من الباب. سأذهب الآن إلى فارتولو.

حاولت سلطان أن تمنع ياماتش قائلة:

- توقف يا بني.

- ابتعدي يا أمي. ابتعدي من أمامي.

- استمع إليّ يا بني ثم اذهب أينما تشاء.

كان ياماتش غاضباً للغاية، ورغم ذلك سار خلف أمه. وقبل أن يذهب قال لباشا وعمّي:

- أحضرا عليشو إلى البيت.

نزلت سلطان إلى مخزن المؤونة في الطابق السفلي من البيت. كان مليئاً بما يليق ببيت عائلة ثرية. كل شيء متاح بالأشولة. دخلت سلطان ومن خلفها ياماتش ولم يكن يفكر في أي شيء غير فارتولو، وأنه مهما قالت أمه فسوف يذهب إلى فارتولو. قال لها:

- لن يمنعني كلامك من الذهاب إليه.

وقبل أن يُكمل كلامه، لطمته أمه على وجهه. اندهش ياماتش، وقالت أمه:

- خذ زوجتك واذهبا من هذا البيت.

- ماذا تقولين يا أمي؟

- إني لم آتي بك إلى هنا لكي تشعل الحرب أو تموت. هناك رجال أمام البيت جاهزون من أجل هذا. إذا كنتَ ستفعل هذا فخذ زوجتك واذهب من هنا. إنني سأدفن ابني غداً، وإذا فعلتَ هذا فسوف أدفن اثنين.

- يا أمي ...

لم تسمح له سلطان بالحديث ولطمته مرة أخرى. غضب ياماتش كثيراً، لكن أمه كانت أكثر غضباً منه، وكادت أن تنفجر في البكاء ثم قالت:

- ماذا حدث، هل غضبتَ على أمك؟ حسناً اقتلني أنا أولاً ثم اذهب واقتل الجميع ثم مُتْ بعد ذلك، يكفي ألا أرى هذا.

هدأ ياماتش قليلاً لأنه فهم ما تقصده أمه ثم أكملت سلطان حديثها:

- منذ نعومة أظافرك، عندما كان يغضب عليك والدك، كنتَ تغلق على نفسك هنا وتفتح الموسيقى بأعلى صوت. كنتُ أظن أنك تفعل هذا لأنك كنت تحبس نفسك لأن والدك غاضب عليك، لكنني فهمتُ الآن أنك كنتَ تفعل هذا لأنك أنت الغاضب وتريد أن تتخلص من غضبك.

بعد ذلك فتحت سلطان الخزانة، وأخرجت جهاز تشغيل الموسيقى وعلبة ممتلئة بأشرطة الكاسيت ثم قالت:

- خذ، جميع أشيائك هنا. لم أسمح لهم بأن يُقوموا بإلقاء أشيائك. افعل ما تريد. ستخرج من هنا وأنتَ أهدأ بالتأكيد. هل سمعتَ؟

ذهبت سلطان، وياماتش لم يهدأ غضبه ولم يذهب خلفها لكنه فتح الموسيقى بأعلى صوت، وخلع قميصه ثم تعلّق بحديد الباب وجعل رأسه في الأسفل ورجليه في الأعلى، وبدأ يمارس تمارين العضلات. يحاول أن يخرج الطاقة التي اجتمعت داخله.

ظلّ في مخزن المؤونة لساعات ثم ذهب إلى المطبخ فوجد عليشو واقفاً في انتظاره، وعيسى يجلس على الطاولة وينظف سلاحه. قال ياماتش:

- اتركنا وحدنا يا عيسى، واغلق الباب من خلفك.

حاول عيسى أن يجمع سريعاً السلاح الذي قام بفكّه، فقال ياماتش:

- دع هذا. عملنا قصير.

خرج عيسى، وجلس ياماتش محله وعليشو كان

ينتظر واقفاً، وكان من طبعه ألا يطيل النظر إلى أي شيء، وكان هذا يثير الانتباه لأنه عندما يفعل هذا يشبه الذين يكذبون ويحاولون إخفاء كذبهم.

قال ياماتش:

- متى عادت ثناء إلى البيت يا عليشو؟

- قبل أن أتصل بك بثلاث دقائق.

- وأنت متى ذهبتَ إلى هناك؟

- ومتى ذهبتَ من هناك؟

- بعد أن أخبرتك مباشرة.

نظر ياماتش إلى عليشو غاضباً وقال:

- اقترب يا عليشو.

اقترب عليشو خطوة فقال ياماتش:

- اقترب اقترب.

اقترب عليشو أكثر فقال ياماتش:

- لقد نصبوا لي فخّاً يا عليشو، هل لديك علم بذلك؟

- نعم، أخبروني.

- سأسألك مرة واحدة يا عليشو: هل أنتَ من أخبرتهم بمكاني؟

سكت عليشو قليلاً ثم قام بتركيب السلاح الذي على الطاولة بسرعة، وصوّبه نحو جبينه وأمسك بيد ياماتش لكي يضع إصبعه على الزناد. ولأنه فعل كل هذا على عجل، لم يجد ياماتش وقتاً ليندهش مما يفعله عليشو، وكأن عليشو جامع القمامة قد ذهب وحلّ محله عليشو المختص في تركيب الأسلحة. كانا يتبادلان النظرات، ولم يعد عليشو يذهب بنظراته بعيداً كعادته، وأصبح يحدّق في عيني ياماتش. صار ياماتش متأكداً الآن من كل شيء وقال:

- فهمتُ يا عليشو.

أخذ ياماتش السلاح من يد عليشو ثم قال:

- هل تريد مني شيئاً يا عليشو؟

بدأ عليشو النظر مسرعاً في كل ما حوله كعادته، وكأنه ليس الشخص الذي كان سيموت قبل قليل، وقال:

- أبلة سعادات أعدّت شوربة الترهانة.

نظر ياماتش إليه بانتباه، وكان الفضول يملأه

ليعرف حكاية عليشو، فقال:

- سأقول لها لتسخّن الشوربة لك.

خرجت ثناء من الغرفة المغلقة، وعندما نزلت رأت باب غرفة إدريس موارباً. تجدد فضولها، ونظرت حولها ثم اقتربت من الباب. كان تنظر من الخارج لإدريس الذي يرقد في فراشه حتى الآن. حدّقت في وجهه، وبمجرد أن نظرت وراءها وجدت سلطان هانم في وجهها. فهمت أنها كانت تقف وراءها في صمت. لم تقل سلطان شيئاً وبدأت تنظر إلى ثناء من أعلى لأسفل، وتطيل النظر في بنطالها الجلدي الضيق. قالت سلطان هانم:

- انظري يا ابنتي، إنني لا أحب إطالة الحديث. ارتكب ابني خطأ وكان بعيداً عنا لسنوات، لكنه عاد. وهذا الأمر لن يطول كثيراً، فلا تعوّدي نفسك وإلا ستحزنين كثيراً فيما بعد.

حلّ الصمت قليلاً وغضبت ثناء وكانت تنظر بحدة إلى سلطان ثم قالت:

- انظري يا سلطان هانم، لقد عاد ابنك إلى هنا لأنه يظن أنكم في وضع حرج. وقد أخطأ في هذا، لكنني لا ألومه، لأنه يحبكم كثيراً، ولكن ليس لديه نية لكي يُكمل حياته معكم، فلا

تعودي نفسك على هذا، وإلا ستحزنين كثيراً.

ذهبت ثناء ولم تسمح لسلطان بالرد، واحمرّ وجه الهانم من الغضب ثم دخلت إلى غرفة إدريس.

أن تضطر للتصالح مع قاتل أخيك

جلس ياماتش بجوار والده المريض، ولم يكن إدريس في وعيه. قال ياماتش:

- إنني أفكر منذ الأمس، هناك شيء غير مقنع. سأذهب الآن للتصالح مع الرجل الذي قتل أخي. مضطر أن أفعل ذلك، لأن بيننا شخص يخبره بأحوالنا، ولا يوجد احتمال آخر. كيف يحارب الإنسان عدواً يعرف كل خطواته؟ ليتك تفيق الآن يا أبي، وتقول لي ما تعرف، وأين الصواب وأين الخطأ.

وقف ياماتش فجأة وكأنه قرر أن يفعل شيئاً ثم خرج إلى حديقة البيت مسرعاً. ذهب باشا وعمّي إليه ثم جاء سليم أيضاً. قال ياماتش:

- لنجد حكماً بيننا وليكن شخصاً موثوقاً. أخبروا فارتولو بهذا. لنجلس في مكان محايد ونتحدث. لنحلَّ هذا الأمر قبل أن تحدث أشياء أكثر سوءا.

لاحظ ياماتش أثناء حديثه أن سليم لم يعجبه الاقتراح، قال ياماتش:

- لا تقلق يا سليم. لم أنس ما فعله فارتولو، سوف أحرق حياة هذا الرجل ولكن ليس الآن.

قال عمّي:

- يريد فارتولو أن يفتح معملاً للمخدرات في الحيّ.

قال سليم:

- لم يقبل والدي بذلك. هل ستقولون شيئاً بعد قوله؟

قال ياماتش:

- لا، سأقترح شيئاً آخر.

قال باشا:

- هل سيقبل أم لا، لا أدري.

قال ياماتش:

- هو أدرى إذن، إذا لم يقبل. إننا نحمي القلعة وهو يريد أن يحاصرها. وإذا كان قادراً فليأتِ ويفتح القلعة. من يوجد لكي يحكم بيننا؟

يجب أن يكون شخصاً موثوقاً ويعرف الطرفين.

قال باشا:

- سأحل أنا هذا الأمر.

رد ياماتش:

- أرسلوا خبراً إلى فارتولو الآن. ولتكن هدنة حتى يتم التصالح. لنتذكر أن لدينا جنازة. سوف نجلس بعدها.

كانت ثناء تجلس وحدها في الغرفة ثم فتحت سعادات الباب ودخلت ومعها صينية الفطور وهي تقول:

- هل تسمحين لي بالدخول؟

قالت ثناء:

- هل يمكنني الخروج من هنا؟

- قال ياماتش إن بإمكانك أن تتجولين في البيت، ولكن لم يسمح لكِ بالخروج.

- لماذا، هل تغلقون باب البيت أيضاً؟

- رجالنا أمام البيت، ولن يسمحوا بخروجك. أنتِ أدرى، يمكنك المحاولة.

تركت ثناء الصينية على الطاولة، وكانت ثناء تقف بجوار الباب فقالت سعادات:

- الشاي ساخن.

عادت ثناء وقالت:

- من أنتِ؟

- أنا عين وأذن وذراع هذا البيت.

- خادمة يعني.

- اخرسي. فهمنا أنكِ غاضبة، ولكن ليس لهذا الحد أيضاً.

- أعتذر لكِ. إنني لم أعش ما أعيشه الآن في حياتي من قبل. لقد تكسر الزجاج وأمطروا علينا الرصاص. كدتُ أُجنّ.

لم تكن سعادات تحمل ضغينة لأحد، قبلت اعتذار ثناء على الفور، وقالت:

- أنتِ محقة ليس سهلاً. يخاف الإنسان وخصوصاً إذا كان وحيداً.

- كيف يعني؟

- كان أبي بائعاً في السوق، وفي شجارٍ أطلق

الرصاص على أحدهم في السوق ثم جاء أهل هذا الشخص وأطلقوا الرصاص على بيتنا. كنتُ وقتها في الرابعة عشر، وكانت أمي عند جارتنا. كنت وحيدة، أُعدّ الطعام. كل شيء تكسر. وأنا اختبأت تحت وعاء بلاستيكي، ولكن كيف سيحميني؟

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- تدخل إدريس بابا وقال إن مهاجمة النساء والأطفال غير مقبول. وعاقب هؤلاء ثم أخذني إلى بيتهم، وأنا هنا منذ ذلك الوقت. عندما جئتُ إلى هنا كان زوجك ما زال يمسح مخاط أنفه.

- هذا الشخص لا يمثل لي أي شيء.

- لكنه قال بالأمس إنكِ زوجته.

- عندما أخرج من هنا سأصير طليقته.

- أنتِ أدرى. ليس من حقي أن أقول شيئاً، ولكن برأيي انتظري الجنازة على الأقل.

- أي جنازة؟

- لقد قتلوا كهرمان، أخو ياماتش الذي كان شجاعاً لدرجة أنه كان يمسك النار بيديه.

ووالد ياماتش يرقد في الأسفل بعد أن أُصيب بالشلل. إدريس والدنا الذي كان كالجبل. إن شاء الله سيتعافى ونعود لأيامنا السابقة.

- ماذا حدث، ولماذا؟

- ألا تعرفين أي شيء عن هذا؟

- لا أعرف شيئاً، هل من الممكن أن تخبريني؟

دخلت سلطان هانم مع سليم إلى الصالون وخلفهما ياماتش وثناء. كان ياماتش حزيناً، ولم تتحمل سلطان أكثر من ذلك فقالت:

- ماذا فعلتَ؟

- في أي شيء؟

- إننا نعيش أوجاعنا في الداخل، ولا نُظهرها لأحد. ألا تعرف هذا؟

أمسك ياماتش بيد ثناء وقال:

- إنني لستُ منكم، ولم أكن منكم ولن أكون. وقلت لكِ من قبل إنني لن أبقى هنا دقيقة واحدة بعد أن تُحلّ الأمور. سآخذ ثناء ونذهب من هنا.

نظرت ثناء إلى ياماتش بدهشة ثم أخذها وصعدا

إلى الغرفة. صارت ثناء عدوة لسلطان هانم.

دخل ياماتش وثناء إلى الغرفة وقال لها:

- إنني على وعدي في كل ما قلتُ لكِ. إنني أحبكِ كثيراً. وكما ترين، هذه هي عائلتي، لكنني لستُ هكذا. لقد تركت هذا البيت وأنا في الثامنة عشر، ولم أعد بعد ذلك، لكن كل شيء في خطر الآن، ليست عائلتي فقط، ولكن كل أهل الحي الذين رأيتِهم في الجنازة. إذا لم أجد حلاً فسوف يتضرر الجميع، ولذلك أنا هنا.

- ماذا يعني؟

- يعني أنني مضطر للبقاء هنا، لكنني لا أستطيع أن أقول لكِ ابقي هنا. غداً سيكون لدينا اجتماع، وإذا أردتِ فاذهبي بعد ذلك أو ...

قبل أن يُكمل ياماتش الجملة قبّلته ثناء، وفهم ياماتش أن هذه القُبلة تعني أنها ستظل معه. فرح ياماتش وقال:

- أعدكِ أننا سنذهب من هنا بعد انتهاء هذا البلاء، وسنصبح سعداء معاً.

- اقسم على أننا سنذهب من هنا بعد انتهاء

هذه المشاكل.

بعد أن قالت ثناء هكذا، عانقت ياماتش وقبّلته لأنها لم تكن تعلم أن هذا اليوم لن يأتي أبداً ثم قالت:

- أحبك يا رجل.

- أحبك يا امرأة.

الاتفاق مع فارتولو

تم اختيار أحد منشآت بايكال. كان بايكال مع فارتولو ينتظران ياماتش وبعد قليل جاء ومعه سليم وباشا وعمّي. كان ياماتش يرتدي تيشرت أسود كُتب عليه بالأبيض "fuck this shit" وبنطالاً وحذاء رياضياً. أما بقية الحضور فكانوا يرتدون البدلات. اندهش بايكال عندما رأى ياماتش قادماً من بعيد، لأنه لم يكن يتوقع أن ياماتش على هذه الهيئة. ابتسم بايكال عندما قرأ المكتوب على تيشرت ياماتش، وتقدم خطوة للأمام لكي يُظهر أنه ليس في طرف فارتولو. وقف ياماتش وفارتولو في المنتصف تماماً، وقال بايكال:

- أهلاً بكم.

قال باشا:

- هـذا هـو بايـكال كانـت بـك، وهـذا سـليم بـك ومجاهد بك (عمي).

صافحهـم بايـكال جميعـاً، ونظـر ياماتـش إليـه بانتبـاه أمـا سـليم فلـم يرفـع عينيـه عـن فارتولـو. وصافـح عمّـي بايـكال وضغـط علـى يـده دون أن ينتبـه ولـم يـرد بايـكال، فهـو شـخص مهـذب ويبـدو ذلـك حتـى من ثيابه. قال بايكال:

- سـعيد بالتعـرف عليكـم. إننـي أحـب التعـرف علـى أشـخاص جديـدة. قبـل عشـرين عشـاماً تقريبـاً قمـت بعمـل مشـترك مـع جيهانجيـر بـك (باشـا)، وقبلـت أن أكـون حكمـاً بينكـم لأنـه اتصـل بـي وقـال إن هنـاك سـوء تفاهـم مـع سـعد الديـن بـك. كان والـدي المرحـوم قاضيـاً، وأراد أن أصيـر مثلـه، ولكـن لـم يكـن لـي نصيـب. ويبـدو أننـي أقبـل التحكيـم بيـن النـاس لهـذا السـبب. الآن سيطلـب سـعد الديـن بـك شـيئاً وأنتـم أيضـاً، وأنـا سـأقرّب المسافة بينكم. هذا ما أردتُ قوله.

تراجـع بايـكال خطـوة إلـى الـوراء ثـم التفـت فارتولـو إلى ياماتش قائلاً:

- تعرفنـا مـن قبـل علـى الهاتـف، لكننـا نلتقـي اليـوم وجهاً لوجه.

كان ياماتش يحاول أن يتحكم في غضبه وكراهيته، وقال بهدوء:

- نعم، هذا ما حدث.

تحدث فارتولو بهدوء وقال وهو ينظر إلى بايكال:

- ما أريده معلوم. لقد سالت الدماء هباء، وليت ذلك لم يحدث لكنه حدث مع الأسف. إنني لم أطلب شيئاً كبيراً، لقد طلبت المكان والحماية، ولكن ظهرت العديد من المشاكل، ولكن في النهاية وصلنا إلى نفس النتيجة.

قال ياماتش:

- لا، لم نصل إلى نفس النتيجة.

- كيف يعني؟

- قال لك إدريس بك، ولا يُقال شيء في حينا بعد قول أبي. لا يمكنك أن تدخل إلى الحفرة.

نظر فارتولو إلى بايكال الذي حاول تهدئته وقال:

- لنسمع أولاً يا سعد الدين بك.

نظر ياماتش حوله، ورأى قطعة حديد على الأرض فذهب وأتى بها ثم بدأ يرسم بها على الأرض شكل الحفرة وقال:

- قال والدي إنه لا يريد المخدرات في الحيّ، ونحن عند هذا الكلام. إذا أردتَ فمن الممكن أن نكمل الحرب، ولن تنتهي حتى ينتهي الطرفان.

ثم خطّ ياماتش على الأرض مرة أخرى وقال:

- هنا الحفرة ومن هذا الطرف غابة، وهذا هو الطريق العام، وهنا حي دَارَا، وهو خلف الحفرة. يمكنني أن أعطيك مكاناً هناك ونرتب مسألة حمايتك أيضاً.

- لا، مستحيل.

- لم أنه كلامي. استمع. سنحميك دون أن نأخذ منك مالاً.

اضطرب سليم كثيراً، لأنه كان يحتاج إلى النقود، لكن ياماتش أكمل كلامه قائلاً:

- هذا هو عرضي ولا مساومة فيه.

- أنت ستحميني دون مقابل.

- نعم، لتبق النقود معك.

- حسناً يا ياماتش بك، لقد جعلتنا نحلم. شكراً لك. إلا أننا مستعدون دائماً لهجمات الشرطة،

فكيف ستحمينا؟

- سترى عندما تأتي الشرطة.

- يعني أنك ستدفع ما سأخسره.

- لن يكون هناك داع لهذا. لقد سمعتَ ما قلتُ. سترى عندما تأتي الشرطة.

لم يرد فارتولو ثم تدخل بايكال قائلاً:

- ماذا تقول يا سعد الدين بك.

- لدي مشكلة يا بايكال بك. هذا الرجل قبل أسبوع أمر بتفجير الشاحنة التي كانت تحمل بضاعتي.

- هذا لا يهمني. حدث وانتهى.

- حسناً، ولكن هناك شيء آخر يا بايكال بك. إنني لا يمكنني أن أكون بعيداً عن بضاعتي.

قال ياماتش:

- حسناً، يمكنك أن تقيم أنت أيضاً في دارا.

- لا أريد، هذا المكان قريب من الشرطة. وهذا ضرر لي. أريد مكاناً لا تدخله الشرطة، عندما أضع رأسي على الوسادة أكون واثقاً

من أن الشرطة لن تقتحم المكان.

فهم ياماتش أن فارتولو يريد أن يدخل إلى الحفرة. وسليم يستمع وهو مندهش لأن فارتولو دخل في لعبة جديدة دون أن يخبره.

قال ياماتش:

- مستحيل.

قال بايكال:

- دعنا لا نقول هذا الآن، لنفكر قليلاً.

- مستحيل يا بايكال بك. لسنا وحدنا من فقد قريباً له بسبب هذا الرجل.

وضع فارتولو قدمه على رسمة الحفرة وقال:

- أنتَ تقول إنك لستَ قادراً على التحكم في رجال الحفرة. إذا كنتَ غير قادر على فعل ذلك في الحفرة فماذا ستفعل في دارا، أي نوع من الحماية هذا؟

- حسناً يا فارتولو، تعال إلى الحفرة وكن ضيفنا.

- هل سمعت يا بايكال بك؟ يقول ضيف. والضيف له احترامه عندنا، ومن العيب أن يحدث له أي شيء. لن يمسني أحد يا أخي

ياماتش، أليس كذلك؟

- دعك من حديث الأخوة، إنني لست أخاً لك.

- حسناً يا بك، لا تغضب. ولكن قل، هل سيمسّنا أحد؟

- لا.

- لا نريد أن يحدث أي شجار.

- نحن لن نفعل هذا، ولكن لي شرط. توجد صيدلية في حيّنا ونأتي بالدواء منها. إذا رأيتُ أحداً يبيع شيئاً في الشارع أو شباباً يتعاطون شيئاً فسوف تنتهي الضيافة في هذه اللحظة.

قال بايكال:

- ماذا تقول يا سعد الدين بك؟

- إنني قلتُ لوالده من قبل يا بايكال بك. ليس لدينا عمل في الحفرة. بضاعتنا سوف نصدّرها إلى الخارج. إننا نحب بلادنا. متى سنذهب إلى المكان؟

قال ياماتش:

- وقتما أردت. اذهب الآن إلى دارا واشرب شاياً

فـي المقهـى هنـاك، وسـيأتي أحدهـم ليريـك المكان.

سكت الجميع قليلاً ثم قال بايكال:

- هـل بقيـت أي مشـكلة لـم نحلهـا؟ أظن أن الطرفان قد اتفقا.

مدّ فارتولو يده إلى ياماتش، فقال ياماتش:

- هل تسـخر منـي؟

ثم التفت إلى بايكال قائلاً:

- اتفقنا يا بايكال بك.

- إذن تـم التصالـح الآن. يسـتطيع الطرفـان أن يعودا إلى عملهما في هدوء. يومكم سعيد.

هل تعرف الشطرنج يا سليم؟

جلس فارتولو فـي صالـون بيتـه ينتظـر سـليم، ومـدد يقـف بجواره. دخل سليم غاضباً وقال:

- لماذا قبلت دارا، هل أنت أحمق؟

- هل تعرف الشطرنج يا سليم؟

- نعم، أعرف.

- حسناً، أنا لا أعرف. إلا أنني أطلقت النار على لاعب شطرنج من قبل. كان لاعباً محترفاً.

- ماذا تقول أنتَ يا هذا، لماذا فعلت هذا يا أحمق؟

- كان يجب عليّ أن أفعل هذا. دعني أشرح لك المهم في هذا الأمر. كنتُ أنصب له فخاً دائماً، وكان يهرب منه بمهارة ثم جعلتهم يمسكوا به فسألني إذا كنت أعرف الشطرنج، فقلت له لا، فقال لو كنتَ تعرف لصرتَ لاعباً محترفاً. وحتى لا تضيع ملامحه، أطلقت الرصاص على قلبه ليتمكن أولاده من التعرف على جثته. إننا من أصحاب القلوب الرحيمة أيضاً يا سليم بك.

نظر سليم إليه وهو لا يفهم شيئاً مما يقول ثم أكمل فارتولو حديثه قائلاً:

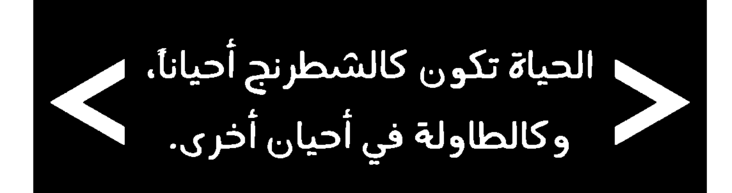
- قبلتُ أن نكون في دارا لكي يكون لنا بيت في الحفرة. إذا كنا فتحنا المعمل في الحفرة فلن يسمح ياماتش بأن نقيم فيها. لندخل الحفرة أولاً ثم سترى ماذا سيفعل فارتولو.

- افعل ما تفعل ولكن يجب أن تُسرع قليلاً، لأن الأمور لن تصبح بسيطة كما تتصور. لن

يسمح ياماتش لك بتصنيع المخدرات وإذا فعلتَ فلن تتمكن من بيعها.

قال سليم ذلك ثم خرج مسرعاً ثم قال فارتولو من خلفه غاضباً:

- طبعاً طبعاً، لقد قتلتُ لاعب الشطرنج من قبل، فمن هو ياماتش هذا؟



اتَّبع أحدهم الشيطان

كان ياماتش ينظر من داخل البيت إلى الحديقة. في الخارج كل من يعمل عند عائلة كوتشوفالي؛ عمّي، باشا، كمال، متين، عيسى، ومَكّا. وياماتش ينظر إليهم وفي هذه الأثناء يأتي سليم إلى جواره، كان غاضباً مما حدث من قبل، قال ياماتش:

- عندما قلتُ لك لا تهذي، لم أكن أقصد ذلك.

- حسناً، دعنا لا نطيل الأمر. كانت لحظة غضب ومرّت.

مدّ ياماتش إليه إصبعه الخنصر وقال:

- لنتصالح.

ومثلما كانا يفعلان في الطفولة، مدّ سليم خنصره أيضاً وابتسما. قال سليم:

- لماذا جمعتَهم الآن؟

- أريد أن أنظر في عيني كل واحد منهم.

- ماذا يعني هذا؟

- لقد عقدنا سلاماً مؤقتاً مع فارتولو، ولكن

ليس لدينا قوة. فارتولو يعرف عنا كل شيء. يوجد بيننا من ينقل كل شيء لفارتولو.

ارتجف سليم وحاول أن يهدأ ثم قال:

- لا يوجد شيء من هذا. إننا نعرف هؤلاء الرجال منذ سنوات، لا يفعل أحد منهم هذا.

- اتّبع أحدهم الشيطان. هناك معلومات تخرج من هنا. وبموضوع أخي كهرمان صار هكذا أيضاً. لقد انسحب رجال أبي من أمام المستشفى، وسألت الجميع وإذا بكل واحد منهم يُلقي الخطأ على الآخر. ذهب باشا لمهاجمة بيت فارتولو، وماذا حدث وقتها؟ ترك فارتولو ورقة كُتب عليها: "تم صيد الخارج إلى الصيد"، يعني الرجل على راحته وواثق من نفسه.

ابيضّ وجه سليم، ولم يجد ما يقوله. انقطع نفسه وحاول أن يتحدث بشكل عادي قائلاً:

- من الممكن أن يكون كل هذا من باب الصدفة. يمكن أن يكون الرجال قد ساروا خلفنا. من المحتمل كل شيء يا ياماتش.

- مستحيل، لأنني قمت بعمل اختبار. ففي اليوم الذي هجمت فيه الشرطة على دارا، كان

أولادنـا الذيـن يُعطـون الإشـارة فـوق الأسـطح، ولم أقل لأحد هذا. ووقتها فهمتُ كل شيء.

قال سليم وقد تعكّر مزاجه:

- يعنـي أنـكَ أخفيـتَ حتـى علـيّ. سـلمتَ يـا ياماتش. هل أنا أيضاً من المشتبه فيهم؟

- لو كنتَ كذلك فلماذا أشرح لك الآن يا أخي؟

لـم يقـل سـليم شـيئاً، وحـلّ الصمـت قليـلاً ثـم قـال ياماتش:

- ليـتَ أبـي كان فـي وعيـه، كان سـيجد مـا يفعلـه الآن.

الحديث الأول مع الوالد بعد سنوات

كان إدريـس يتنفـس بعمـق، وياماتـش يقـف بجـوار بـاب غرفتـه. كان سـعيداً لأن والـده صـار فـي البيـت، لكنـه كان مضطربـاً لأن علاقتـه بوالـده كانـت متوتـرة طـوال الوقـت. هـذا يعنـي أنـه مـن الممكـن أن تحـدث مفاجـأة في أي وقت.

نظـر إدريـس إلـى ياماتـش، الشـاب الـذي خـرج مـن هـذا البيت وهـو فـي الثامنة عشـر، عاد رجـلاً قوياً. كان ياماتـش ينظـر إليـه أيضـاً، وكأن إدريـس لـو نـاداه الآن سيذهب لمعانقته على الفور. قال إدريس بشكل حاد:

- هل نسيتَ تقبيل اليد؟

ابتسم ياماتش ابتسامة موجعة، وفهم أنه لم يتغير شيء. أسرع نحو والده وقبّل يده ثم صمتا لبعض الوقت حتى قال إدريس؟

- لماذا جئتَ؟

- استدعتني أمي فأتيتُ، هل كان عليّ آلا آتي؟

- قلتَ إنك لن تأتي إذا متّ أو إذا متُّ.

لم يرد ياماتش، وأكمل إدريس:

- هل هذا كذب؟

- تريديني أن أذهب؟

- أنتَ أدرى.

- لنتحدث عن هذا لاحقاً. عليك أن ترتاح الآن.

اتجه ياماتش نحو الباب، وفي هذه الأثناء قال إدريس؟

- من هذه الفتاة؟

- زوجتي. لقد تزوجت.

تعجب إدريس من جوابه ثم خرج ياماتش من

الغرفة وأغلق الباب، وذهب إلى غرفة الاجتماعات التي ينتظره فيها عمّي وباشا. دخل ثم قال:

- خيراً.

أحضر باشا صندوقاً صغيراً ومدّه نحو ياماتش، ورغم مخالفة سليم، اتّخذ القرار بأن تذهب أشياء كهرمان إلى ياماتش. قال عمّي:

- هذه أمانة المرحوم كهرمان يا بني.

فتح الصندوق على الطاولة، ووجد فيها مسبحة من حجر الكهرمان الأسود، ومِطواة قديمة، ومسدس بمقبض منقوش بقي منذ السبعينيات. نظر ياماتش إلى الأشياء قائلاً:

- لا يمكنني أخذ هذه الأشياء.

قال باشا:

- رئيس العائلة يجب أن يحمل هذه الأشياء معه.

قال ياماتش:

- إنني سأذهب يا باشا.

- إذن لتحملها معك حتى تذهب من هنا.

- لا أريد سلاحاً.

- من الآن ليس بإمكانك أن تتجول بلا سلاح يا ابن أخي. ماذا لو كان حدث شيء لك بالأمس أو حدث لزوجتك؟

حاول ياماتش الهروب من ذلك فنظر إلى سليم الذي حاول أن يبتسم ثم أخذ ياماتش الأمانة بعد فشله في رفضها ووضع السلاح في خصره.

كانت ثناء تتابع ما يحدث في الخفاء ثم جاءت سلطان إلى جوارها في صمت، وأغلقت الباب بهدوء. فكرت ثناء أن مشكلتها صارت كبيرة، وبلا حيلة صعدت إلى غرفتها.

لماذا عدتَ من جديد؟

كان إدريس يجلس وحده في الصالون ثم دخل ياماتش منفعلاً وقال:

- هل أنتَ من أمرتَ بهذا؟

- نعم.

- هل تلاحظ ماذا فعلت؟

- أفعل ما يجب عليك فعله.

- لقد فعلتُ ما يجب فعله، لقد قمتُ بسلام معه.

- هل طلبتُ منك سلاماً؟

- هل تريد الحرب؟

- هل تريد أن يبقى دم أخيك على الأرض؟

- هل قلتُ إنه سيبقى؟

- ألم تقل إنك لن تعود إلى هذا البيت، فلماذا أتيتَ من جديد؟

- تظن أنك ما زلت قوياً، أليس كذلك؟

أخرج ياماتش المسدس من خصره ووضعه في يد إدريس ثم رجع إلى الوراء وفتح ذراعيه قائلاً:

- هيا، اضرب.

لم يتحرك إدريس وقال ياماتش:

- اليوم الذي تتمكن فيه من الضغط على الزناد سأذهب من هنا، وحتى ذاك اليوم لا تتدخل في عملي ثم احرق إسطنبول بعد ذلك، لا يهمني.

خرج ياماتش دون أن ينتظر رداً من إدريس.

كان إدريس غاضباً على ياماتش ثم دخل عمّي إلى الصالون وأخذ السلاح من يد إدريس قائلاً:

- إنه ما زال شاباً.

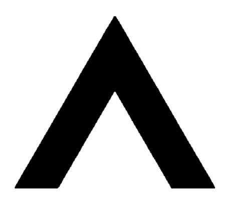
- لن يستطيع فعل شيء. لقد هرب مني يا مجاهد. قلبه ضعيف، وكان عليه ألا يعود.

- لو لم يكن هنا، كنا سنقيم لك الأربعين اليوم يا إدريس كوتشوفالي.

- ماذا يعني هذا؟

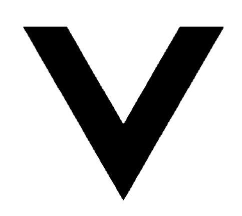
- أرسل فارتولو شخصاً ليقتلك في المستشفى، ولو لم يكن ياماتش هناك لقتلك الرجل بالفعل، لكنه أمسك به وخنقه حتى فقد وعيه ثم قمنا بحلّ بقية الأمور. لا تتحامل على الولد بهذا القدر. هذا الولد أسد.

كان الكلام ثقيلاً على إدريس، لأن ياماتش عمل ما يريده إدريس بالفعل. ورغم أنه لا يُظهر مشاعره إلا أن سماعه لما حدث في المستشفى جعله يتأثر بشكل واضح.



العائلة هي كل شيء. أنت صفر بدون عائلة.. أنت غير موجود.. إذا لم تكن العائلة من خلفك، فأنت لا شيء. إنهم ذراعاك ورجلاك ويداك وقدماك. هم يضغطون على الزناد ويطلقون على العدو. يحمونك إذا لزم الأمر، وأنت تحميهم أيضاً إذا لزم الأمر. أنت تعرف هذا أكثر مني. العائلة هي كل شيء. مات ابني أمام عين أخيه، الذي رضع معه من نفس الثدي وخرج من نفس البطن، ولم يستطع حمايته.

لم ينته هذا الأمر، حتى لو لم أقم من هذا السرير، فاسمي إدريس كوتشوفالي... عندما تفشل في حماية هذه العائلة فأنا أفعل ما يجب فعله.



أخطأتُ كثيراً في هذه الحياة

عاد ياماتش إلى طبيعته، وذهب مع سليم لتناول الشوربة في أحد المطاعم. قال سليم:

- أخطأت كثيراً في هذه الحياة. وأسوأ ما في الأمر أنني مستمر في هذا.

نظر إليه ياماتش بانتباه، وقال سليم:

- كان عليّ ألا أتركك، وألا أسمح بذهابك. قبل عشرة سنوات كان عليّ أن أعيدك إلى البيت ولو بالقوة. لقد تركتك وأنت في الثامنة عشرة.

- ليس ذنبك يا أخي، كان علي أن أذهب.

- ماذا حدث إذن، ماذا استفدت؟ ها قد عدتَ من جديد. عندما مات كهرمان رجعتَ. في موضوع أخي، كنت عادة أقود أنا السيارة، ولو كنتُ أقودها ذاك اليوم لما مات أخونا. كان سليم سيموت ويرتاح العالم.

- لا تقل هذا.

- ماذا فكرتُ في إحدى الليالي، هل تعرف؟ قلت إن ياماتش ليس متوازناً الآن، أوشكتَ على

الموت، كنتَ تخرج كل يوم بنفس الحالة، ولم ترغب في أن تكون هكذا. كنت أخاف أن يحدث شيء لك، فليس لي أحد سواك.

بدأ سليم في البكاء، واندهش ياماتش قائلاً:

- لا تقل هذا. لديك والدنا وأمنا وزوجتك وابنتك.

- صدقني ليس لي أحد.

بعد أن قال سليم ذلك، أدار وجهه ومسح عينيه وحاول أن يهدأ، وفتح ياماتش ذراعيه وقال:

- أخي. إنني لست إدريس أو كهرمان. إنني ياماتش.

عانقه سليم وهو يبكي في صمت.



لديك عيوب مثلنا جميعاً

كانت سلطان ترتب فراش إدريس في الصالون ثم طُرق الباب وقال إدريس تفضل. مدّ ياماتش رأسه من الباب وهو ينظر إلى سلطان، وفهم إدريس ثم قال:

- اسمحي لنا يا سلطان.

أثناء خروج سلطان كانت تنظر إلى ياماتش وفهمت أن الأمور ليست على ما يرام. سألت ياماتش:

- هل أنت بخير؟

- بخير يا أمي، سامحيني أزعجتكما.

ابتسمت سلطان، وخرجت في صمت وإدريس يشاهدهما بانتباه. ودون أن يقول شيئاً، جلس ياماتش على الفراش وكان واضحاً أنه يتوجع. لاحظ إدريس وقال:

- قل، ما هو الشيء المهم الذي أخرجتَ أمك من أجله؟

- لقد ارتكبت خطأ. كنتُ سبباً في وفاة شخصين. كيف أتغلب على هذا؟

- هل تعاركتَ؟ من الواضح أنك تتوجع.

- حادث.

- أي حادث؟

- هل أشرح لك بالتفصيل؟

- نعم.

شرح ياماتش لإدريس كل الموضوع، واستمع إليه في صمت وحزن على وفاة أيهان ودووقان ثم قال:

- عرفتُ أيهان، كان رجلاً صادقاً. يا للأسف، وابنه لم أره منذ أن كان طفلاً. عندما صار مشهوراً ترك الحيّ. دعنا نفكر في أي شيء أخطأتَ، وما الذي يجب إصلاحه؟

- قلتُ لدووقان أن يتصالح مع والده، لكن الشاب لم يكن متوازناً. كان ينبغي ألا أتركهما وحدهما. مثلاً، كان ينبغي أن أترك متين معهما.

- كان من الممكن أن يقتل متين أيضاً.

- ربما كان عليّ أن أبقى أنا معهما.

- كنتَ ستبقى أنتَ معهم، وكل هذا العمل ينتظرك؟

- لا أدري، وكأن شيئاً ما كان عليّ فعله.

- ليس بإمكانك منع من يموت. ضع هذا في عقلك أولاً. لديك عيوب، مثلنا جميعاً. أنت إنسان، روحٌ من التراب. افعل ما عليك واترك الباقي لله.

هزّ ياماتش رأسه ثم قال إدريس:

- أنا أيضاً لدي سؤال. أمرتُ بشيء بخصوص فارتولو وأنت منعته، وكنتُ قلتُ لك إنك خائف ولكن تبين أن الأمر ليس كذلك، شرح لي عمّي كل شيء. حسناً، لماذا فعلتَ هذا؟

- أنتظر، فقط.

لأول مرة ينطق إدريس باسم ابنه، وقال:

- ياماتش...

- هناك شخص بيننا يحمل الأخبار لفارتولو.

تغيرت تعبيرات وجه إدريس فجأة، ولو كان قادراً على الحركة لأمسك بياماتش وألقى به إلى الحائط، لكنه انفعل لعدم قدرته على الحركة، وصرخ قائلاً:

- هذا الأمر مستحيل.

- اهدأ يا أبي ولا تجعلني أندم على أنني أخبرتك

بذلك.

- قلت لك من غير الممكن هذا.

- هل تعرف هذا الافتراء بحق من؟

حاول ياماتش أن يهدأ وقال:

- هذا ليس افتراءً على أحد. إنني أقول ما رأيت.

- وماذا ترى؟ أنت ترى الرجال الذين يقودون سيارتك، والحيّ، لكنني أرى العائلة ورجال الحي. إنك هربتَ منا وتقول الآن بيننا خائن، بأي حق تقول هذا؟

انفعل ياماتش وقال:

- إنني لم أعد هنا برغبتي، كنت مضطراً للعودة. إن فارتولو كان يعرف خطتين قمت بترتيبهما. لو حدث معك هذا، كيف كنتَ ستفكر؟ إنني أفعل كل شيء من أجل أحبائي.

هزّ إدريس رأسه بانفعال وتنفس بعمق. أمسك ياماتش يده بقلق وقال:

- اهدأ يا أبي. ماذا لو حدث لك شيء من جديد.

- ماذا سيحدث لي أكثر من هذا؟ لم يبق إلا الموت، ليأتِ وينتهي كل هذا .

حاول ياماتش أن يهدأ لأنه إذا لم يفعل هذا لن يبقى هناك أي معنى لهذا الحوار، وسوف يحدث شيء لإدريس بالفعل. قال ياماتش:

- حسناً، لم أقل شيئاً إنني مخطئ. هيا عليك أن ترتاح الآن.

- اخرج اخرج.

الرابط بيننا ليس مادياً

دخل ياماتش إلى الصالون، وفي هذه الأثناء كانت سعادات قد جهزت الفطور لإدريس ووضعته على الطاولة. قال ياماتش:

- صباح الخير.

ردّ إدريس:

- اخرجي أنتِ الآن يا سعادات.

قالت سعادات:

- كنتُ سأساعدك في تناول الطعام يا أبي.

قال ياماتش:

- أنا سأحلّ الأمر يا أبلة، لا تقلقي.

خرجت سعادات، وجلس ياماتش بجوار إدريس الذي قال له:

- سوف أتناول الطعام لاحقاً، أريد أن أتحدث معك الآن.

- لنتحدث.

غرس ياماتش الشوكة في قطعة جبن ومدّها نحو والده قائلاً:

- ألم تنم أبداً؟

- كيف عرفتَ؟

- انتفخ تحت عينيك قليلاً.

بعد أن تحدث إدريس مع ياماتش بالأمس لم ينم، لكن غضبه هدأ قليلاً الآن، وبالطبع كان ما سمعه من ياماتش بالأمس أمراً مثيراً للغضب، لكن إدريس لم يحزن من المشاكل بل يحاول حلّها.

قال إدريس:

- نمتُ قليلاً هذه الليلة.

كان ياماتش يعرف ما حدث لوالده، فقال:

- وهل تحسنتَ قليلاً الآن؟

- إننا أناس مرتبطون ببعضنا البعض. الرابط بيننا ليس مادياً، إنه كرابط الدم، لكنني لا أنسى أيضاً أن الإنسان من الممكن أن يفعل أي شيء.

- ليس في نيتي أن أتهم أي شخص بالباطل.

- إذا كان هناك شخص بيننا هكذا مثلما تقول، فسوف تأتي وتخبرني أولاً. ستأتي به إليَّ قبل أي أحد آخر.

- لقد أطلقوا الرصاص على بيت ثناء يا أبي. نعم، فارتولو ذكي، لكنه لا يفعل ذلك وحده.

- لا تشرح لي هذه الأشياء. هؤلاء الرجال أعرف بعضهم منذ الطفولة. ربما قالوا لي يا أبي أكثر منك، ولذلك يجب أن يكون لديك دليل.

هزّ ياماتش رأسه وكأنه يقول لوالده تمام، فقال إدريس:

- قل لمَكَا ألا يتنصّت على الأبواب مرة أخرى.

- حسناً، وأنتَ قل لعيسى ألا يعطي لأحد سلاحاً

دون إذن مني.

- لا تتحدث كثيراً، وأعطني الخبز.

في أحد مقاهي الحفرة

اجتمع الناس حول فارتولو، وكان يتحدث إليهم بشكل مقنع قائلاً:

- هل كنتُ أريد أن تُراق الدماء؟ لقد مات من رجالي أيضاً؛ ابن عمي وابن أختي، فهل قلت شيئاً؟ وضعت اعتباري تحت قدمي وقلتُ لنتصالح حتى لا تُراق الدماء أكثر.

عارضه أحد الجالسين قائلاً:

- قبل أن تأتي كان السلام هنا.

انفعل فارتولو لكنه قال بهدوء:

- نعم، كان، ولكن هناك قانون الطبيعة، الجديد يواجه القديم والشاب يأتي محل الكبير.

- وهذا ما حدث أصلاً، لقد جاء ياماتش وصار على رؤوسنا.

أوشك فارتولو على الجواب لكن رجلاً آخر قال:

- اسكت قليلاً ليتحدث الرجل، لا تؤاخذنا يا سعد الدين بك، تفضل.

فرح فارتولو بما حدث، وغضب الرجل قائلاً:

- حسناً ما فعلتم، لقد بعتم أنفسكم، استمروا.

قالها غاضباً ثم خرج من المقهى، وفي هذه اللحظة أشار فارتولو إلى مدد الذي أرسل رجاله خلف الرجل. أكمل فارتولو حديثه:

- هل جاء ياماتش بك إليكم ليسأل عن حالكم حتى الآن، هل سألكم عن مطالبكم أو حتى سأل أحدكم عن موعد ختان طفله؟ بالطبع لم يفعل. إنني أوعدكم بختان أولادكم من جيبي. وإذا لم أفعل فلا أكون رجلاً. وليأت أيضاً غير القادر على إجراء عملية أو على تكاليف الزواج. إذا لم نساعدكم فلماذا أتينا إلى الحفرة؟ إنني لست شخصاً سيئاً وسوف ترون.

سار رجال فارتولو خلف الرجل الذي عارضه في المقهى، وأثناء مروره من أمام بيت قديم، أدخلوه بسرعة إلى البيت، وقام أحدهم بإغلاق فمه وبدأ الآخر في ضربه.

أثناء حديث فارتولو أمام المقهى، رنّ هاتفه،

فقال لمن حوله:

- لا تؤاخذوني، المحامي يتصل. (تفضل، أسمعك. طبعاً طبعاً سآتي على الفور).

بعد أن أغلق الهاتف قال لمن حوله:

- لا أدري وزير أم مستشار قد جاء، ويقول يجب أن يأتي فارتولو. ماذا أفعل، عليّ أن أذهب. أتمنى يوماً سعيداً لكم جميعاً.

نظر إلى مدد أثناء ذهابه وابتسم ابتسامة خفيفة. لقد استولى على المقهى، وغدا سيستولى على الشارع ثم كل الحي بعد ذلك.

ابتزاز سليم

كان فارتولو يجلس على طاولة ناظم المحامي في مكتب بايكال كينت، ويشرب الشاي في صمت، كما يجلس مدد أيضاً في إحدى الزوايا صامتاً. دخل سليم وكانت على وجه فارتولو ابتسامة ساخرة، وسليم ينظر إليه في غضب لكن فارتولو لم يهتم بذلك. كان قد جاء مبكراً وتحدث مع ناظم.

قال ناظم:

- أهـلاً بـك يـا سـليم بـك. لندخـل فـي الموضـوع دون إطالـة لأن الوقـت ثميـن بالنسـبة لنـا جميعـاً. أتصـور أنـه حـدث سـوء تفاهـم مسـاء أمـس. تحدثـت مـع السـيّد أمـس وأراد أن ينتهـي هـذا الأمـر، وأن يعـرف إذا كانـت اتفاقنـا سيسـتمر كما هو أم لا. قال فارتولو:

- لنسـأل صديقنـا هـذا السـؤال يـا ناظـم بـك. إننـي أقوم بوظيفتي على أكمل وجه. أما صديقنا...

قاطعه سليم:

- هل تتحدث حتى الآن يا هذا!

قال ناظم:

- رجـاءً ليلتـزم الجميـع بالهـدوء. هـل لديـك شـيء آخر لتقوله يا سعد الدين بك؟

- لا. لدي عمل كثير وطريقي. اسمحلي بالانصراف.

- تفضل.

خرج فارتولو ومن خلفه مدد وكان المحامي ينظر إلى شيء ما في تليفونه، قال سليم:

- إنني قلت كل شيء بالأمس. وفارتولو حكى لكم.

وضـع المحامـي شاشـة تليفونـه أمـام سـليم الـذي

تجمد للحظات وهو ينظر إلى مشهد خروجه من البار في إحدى الليالي كما رأى مشاهد آخر. لم يعرف سليم ماذا يفعل، لم يكن ينتظر كل هذا. أخذ ناظم التليفون مرة أخرى وقال:

- هل يكفي هذا القدر؟ أراد السيد أن ترى هذه المشاهد. وقال لي إنه لن يستخدم هذه الاشياء أبداً. إنه يريد فقط أن تعرف من أمامك، وأن تدرك خطورة الأمر.

كانت الأفكار تدور في رأس سليم ولا يسمع حتى صوت المحامي وهو يقول:

- هل فهمنا بعضنا البعض يا سليم بك؟

لم يستطع سليم الرد وهزّ رأسه فقط، وقال ناظم:

- السيد لديه طلب منك، يريد أن يعرف موعد نقل السلاح.

- لماذا؟

- هذا لا يعنيك. افعل ما نقوله لك فقط، مثلما تفعل حتى اليوم. ولا تتشاجر مع سعد الدين بك، فهذا يضركم جميعاً.

استأذن سليم في الانصراف وقال ناظم:

- شكرا لك.

خرج سليم من الغرفة دون أن يرد عليه.

دع رئاسة الحفرة لأهلها

جاء أهل الحي جميعاً إلى حفل ختان الأطفال، وحضر فارتولو وياماتش أيضاً. قال فارتولو:

- منذ أن أتيتَ إلى هنا كم حفلاً أقمتَ لختان الأطفال، مثلما فعلتُ أنا، وكم جائعاً أطعمتَ؟

- حسناً، وكم شخصاً ظلمتَ، وكم شخصاً قتلتَ؟

- ماذا قال مايكل جاكسون: "كل الطرق إلى الغاية متاحة". هناك قواعد لعملنا ونحن نلتزم بها، وإذا لزم الأمر أن نقتل فإننا نقتل ثم نعود إلى بيتنا وننام مرتاحين. إذا استطعتَ فعل ذلك فافعل أنت أيضاً، لكنك لا تستطيع فعل ذلك، لأنك مغنٍ مسكين. هذه الأمور لا تشبه حفلات الروك. عد إلى الغناء، لماذا دخلتَ في مثل هذه الأمور. دع رئاسة الحفرة لأهلها. اترك الحفرة أو لا تتركها فإنني قادم موجة موجة يا كوتشوفالي ياماتش.

سمع فارتولو عن مداهمة الشرطة للحي، ووقف أمام المقهى قائلاً:

- على أساس أنكَ سوف تخبرني بمداهمة الشرطة، وأن الشرطة لا يمكنها دخول الحفرة. أوووه لقد دخلت الشرطة وليس لديكم أي خبر. أيها الأهالي، إن عائلة كوتشوفالي لا يخرجون من بيتهم فكيف سيحمون الحفرة؟

في هذه الاثناء سُمعت أصوات تصفيق وقال ياماتش:

- برافو برافو.

عندما رآه فارتولو بدأ في الضحك، وقال ياماتش:

- أيها الأهالي، فارتولو سيكون المختار في الانتخابات القادمة. صرتم تعرفون لمن تعطون أصواتكم.

بدأ الأهالي في التصفيق وهم يضحكون، وقد فعل ياماتش ما يريد ثم قال لفارتولو بشكل جاد:

- ماذا قلتَ أثناء الاتفاق؟ قلتَ إنك ضيف أليس

كذلك؟ ماذا تفعل إذا قام ضيفك بالصراخ في بيتك، هل يعلو صوت الضيف هكذا؟

- إنني صوت الأهالي، أقول ما لا يقدرون على قوله.

- ما اسم هذه الحي؟

- ماذا سيكون؟ الحفرة.

- لا، ما هو الاسم الحقيقي لهذا الحي؟

فهم فارتولو ما يقصد ياماتش ولم يرد. ثم قال ياماتش:

- لماذا لا ترد، حسناً أنا سأقول. هذا حي كوتشوفا وليس حي سعد الدين فارتولو. إنه حيُّنا وأنت مجرد ضيف، واعرف حدود الضيافة.

كان فارتولو يبدو وكأنه غير مهتم، وبدأ يتحدث بصوت مرتفع ليسمعه الناس وقال:

- أنتَ تتحدث فقط أما الفعل صفر.

- سوف أريك الأفعال قريباً.

- ماذا ستفعل يا ترى؟ ماذا يمكنك أن تفعل لي أصلاً؟

- ستعرف عندما أفعل. هيا يا فارتولو، هل يمكن أن تذهب من هنا؟ عندما تلتف للذهاب سأفعل أنا كذلك أيضاً لأنني لا أريد أن أرى قفاك المحلوق، شكله سيئ للغاية.

انصرف فارتولو وهو يفكر إذا كانت شكل قفاه سيئاً بالفعل أم لا، ولذلك وضع يده على قفاه ثم سار مسرعاً.

لكل إنسان نقطة ضعف

كان ياماتش ومَكّا يجلسان في السيارة بجانب البحر. لم يتحدث ياماتش منذ وقوفهما بالسيارة هناك، وكان يفكر في أشياء كثيرة أما مَكّا فكان صامتاً حتى لا يزعجه، لكنه لم يتحمل أخيراً وقال:

- سأقول لك شيئاً إذا لم تغضب يا أخي، من الواضح أن شيئاً سيئاً قد حدث، ماذا هو؟

- سأقول لك إذا لم تكن ستُجنّ.

- قل يا أخي وسأكون هادئاً.

- جلاسون صار يعمل مع فارتولو.

لم يجد مَكّا ما يقوله فعضّ على شفته ثم قال:

- ليكن خيراً يا أخي، ماذا عليّ أن أقول؟

- لكل إنسان نقطة ضعف في هذه الحياة. ونقطة ضعف جلاسون الغضب. وأنت أيضاً كذلك. يجب أن تتحكم في غضبك يا مكا وإلا ستقع في الخطأ. انظر لما حدث لجلاسون.

- لن نفعل له شيئاً يا أخي، أليس كذلك؟

- لن نفعل شيئاً، مشكلتنا مع فارتولو.

- ماذا يدور برأسك أيضاً يا أخي؟

- انظر يا مكا، إنني أعرف نقطة ضعفك. وأعرف نقطة ضعفي أيضاً، لكنني لا أعرف نقطة ضعف فارتولو. أفعل كل شيء بلا نتيجة، لا أجد نقطة ضعفه.

- سيكون لديه نقطة ضعف مثل الجميع يا أخي.

- نعم، وهو لديه أيضاً بالتأكيد، ولكن ما هي؟

من هي مهريبان؟

كان ياماتش يجلس غاضباً داخل المقهى، وفارتولو يجلس أمامه قائلاً:

- هذا أمر محزن والله.

رد ياماتش:

- إياك. ماذا تريد، ولماذا جئتَ؟

- جئت لأسأل عن حق بضاعتي.

هدأ غضب ياماتش قليلاً، وكان ينتظر هذا من فارتولو أصلاً ثم قال:

- ماذا حدث لبضاعتك؟

- أنت تعرف أكثر مني. حمّلنا البضائع للسيارة وأرسلناها إلى الشاحنة وهناك رأينا أن السيارة فارغة. ما حدث تم في الطريق. لقد نام رجالنا في الطريق، فماذا شربوا يا ترى؟

- يعني هذه الأمور لم تحدث في دارا؟

- لا، حدثت في الطريق العام.

- جميل، إذن لماذا تحاسبني الآن؟ ألم أقل إنني سأقوم بحمايتك في دارا؟ وأنت تعمل منذ فترة في دارا بالفعل، فهل حدث لك شيء؟ لم يحدث. إنني وعدتك بألا يحدث لك شيء في دارا.

- نعم قلت لي، ولكن...

- لا يوجد لكن في هذا الأمر. قلت لك إنني سأحميك في دارا وليس في كل مكان. وبخروج بضاعتك من دارا لا يعنيني الأمر بعد ذلك. أنت لم تستطع أن تحمي بضاعتك ثم تأتي لتحاسبني.

قال فارتولو غاضباً:

- أنت تعرف من فعل هذا، أليس كذلك؟

- لا أعرف، ولكن أبارك لمن فعل هذا.

- سوف أريك. أنت تظن أنك قطعت يدي، لكنك لا تقدر على قص حتى لحيتي.

في هذه الأثناء نظر ياماتش إلى محيي الدين الحلاق الذي أمام المقهى ثم أشار إليه بعينيه فدخل الحلاق إلى دكانه وقام بتشغيل أغنية مهربان ورفع الصوت بشكل تدريجي. حاول فارتولو أن يُكمل حديثه بهدوء وقال:

- هل تظن أن حيلي قد انتهت؟ سوف ترى يا كوتشوفالي. سأريكم جميعاً. إنني...

سمع فارتولو صوت الأغنية وفهم أنه وقع في الفخ فحاول أن يُكمل حديثه لكن صوت الأغنية منعه فوقف فجأة وركض إلى الخارج وتبعه ياماتش

وهـو يشـاهده بانتبـاه. بـدا علـى فارتولـو أعـراض انقبـاض القلـب وحـاول أن يسـتجمع قـواه واقتربـت سـيارته منـه وكان مـدد ينتظـره فـي الخـارج ثـم قـال فارتولو للحلاق:

- إننـا نتحـدث في أمـور هامـة يـا خـال، اغلـق هـذه الأغنية.

نظـر محيـي الديـن إليـه دون أن يتحـدث فقـال فارتولو:

- اغلق هذا وإلا ستحدث مشكلة؟

لـم يفعـل محيـي الديـن شـيئاً وظـل فارتولـو ينظـر إليـه وإلـى ياماتـش ولـم يتحمـل أكثـر فأخـرج سـلاحه وأطلـق النـار علـى المُسـجّل ثـم ركـب سـيارته مسـرعاً دون أن يقول شيئاً.

اقتـرب محيـي الديـن مـن ياماتـش ونظـرا معـاً نحـو سيارة فارتولو ثم قال ياماتش:

- شكراً لك يا أخي.

- نحن نفعل ما تقوله يا آغا.

- لـدي سـؤالان. الرجـال الذيـن حـول فارتولو ليسـوا مـن أقربائـه، إنهـم بجـواره مـن أجـل المـال. الآن انتهـت أموالـه وسـوف نـرى إذا كانـوا سـيبقون

حوله أم لا.

- وما هو السؤال الثاني؟

- من هي مهريبان التي تحرق روح هذا الرجل لهذه الدرجة؟

قتلتُ ابن أبي

كان فارتولو يصب الماء على القبر ويضع الأزهار التي أتى بها فوقه ثم جلس أمام القبر قائلاً: "سامحيني يا أمي العزيزة. لم أستطع الحضور من قبل، لكنني أعدكِ بأن أشيد لكِ أجمل مقبرة. ابنكِ لم يمت لقد صار رجلاً قوياً". ثم أكمل: "إنهم عذبوا ابنكِ بعد رحيلكِ يا أمي، لكن ابنكِ لم يمت وسوف ينتقم لكِ. أمي ماتت ومات أحد أبنائه أيضاً، فهل يكفي؟ لا يكفي. لقد تركتني للوحوش يا أمي لكنني لم أمت من أجل الانتقام لكِ. كان بالقرب مني بالأمس ووضع أحدهم السلاح على رأسه".

استمر فارتولو في الكذب وكان يرفع رأسه إلى الأعلى كمن يريد أن يتنفس بعمق ثم أكمل: "قلتُ لك اقتله، يكفي أن يموت حتى لو لم أقتله أنا".

بدأ يبكي قائلاً: "إنني أكذب يا أمي. لقد مر

شيء واحد من رأسي، قلت من داخلي: لا تمت يا أبي. لا تمت قبل أن تمسح على رأسي".

ثم نظر حوله ومسح عينيه وقال: "قتلتُ ابن أبي. كنت سأقتل أبي. كان كل شيء أسود، وكل شيء أبيض. أنا على حق وهم على باطل. ماذا أفعل الآن يا أمي؟".

هل نحن إخوة، وروح واحدة؟

كان المقهى مزدحماً للغاية، وإدريس يجلس في مكانه المعتاد وياماتش أمامه. قال إدريس:

- قلتَ إن فارتولو سيذهب من هنا بسبب انتهاء أمواله إلا أن الرجل اشترى بيتاً أمامنا بثلاثة ملايين ليرة. وقلتَ لي أيضاً إن بيننا من ينقل الأخبار له وإنك لن تمسّ فارتولو حتى تعرف هذا الرجل، فماذا فعلتَ، هل وجدتَه؟ لم تجده.

لم يرد ياماتش وبدأ إدريس ينفعل ثم قال:

- قلتَ أولاً إن عيسى هو الخائن، وقد ذهب عيسى. وقلتَ إنك فجرتَ بضائع فارتولو، ولكن لم يحدث له شيء ولم يذهب من هنا. ماذا تنتظر لإنهاء هذا الرجل؟

نظر إدريس إلى ياماتش بانتباه وكان ابنه يحاول ألا تلتقي عيناهما، وكان إدريس يخمن ما يفكر فيه ياماتش ثم قال:

- أنتَ تقول إن هناك خائن آخر غير عيسى. فمن هو؟ أنت تعرف.. قل من هو.

- كنتُ قد قلتُ لك شيئاً آخر. قلت لك دع لي هذا الموضوع.

صرخ إدريس قائلاً:

- قل من هو.

حاول ياماتش أن يكون هادئاً وقال:

- دع لي هذا الأمر يا أبي رجاءً.

فهم إدريس أن ياماتش يريد حمايته وهدأ قليلاً ثم قال:

- في حياتنا أشياء قليلة جداً هي التي تهدنا، وهذه الأشياء ليست فقط موت الابن، ففي طريقنا هذا يوجد موت في كل ثانية. ولكن الذي هدّني حقاً أن الأخ لم يستطع حماية أخيه.

ثم وضع إدريس يده على يد ياماتش وقال:

- ماذا يمكنك أن تقول أسوأ من هذا؟

لم يرد ياماتش وبدأ والده في الضغط على يده قائلاً:

- أقول لك يا بني، ماذا يمكنك أن تقول أسوأ من هذا؟

نظر ياماتش في عيني والده ولم يقل شيئاً لكن إدريس كان يفهم كل شيء من عينيه. وسحب يده من على يد ياماتش وهو يفكر في صداقته بعمي وباشا التي ترجع إلى أكثر من أربعين عاماً، وبدأ يحكي بصوت أوقف كل الأصوات في المقهى:

- هل تعي ما تقول يا هذا؟

نادى إدريس على متين قائلاً:

- استدع باشا وعمي على الفور.

قبل أن يخرج متين من المقهى ناداه إدريس مرة أخرى وفهم متين ما يريده إدريس وأخرج سلاحه وأعطاه له ثم وضعه إدريس على الطاولة، وفهم الجالسون الوضع في المقهى الآن وبدأوا في الخروج بهدوء. قال ياماتش مضطرباً:

- حسناً يا أبي.

كان إدريس يصرخ لدرجة أن ياماتش تجمد ولم يعرف ماذا سيفعل ثم قال إدريس:

- اجلس مكانك.

دخل عمي وباشا إلى المقهى وجهز إدريس السلاح وقال:

- هل نحن إخوة وروح واحدة يا باشا؟

أمسك باشا بالسلاح وقال:

- إخوة وروح واحدة يا إدريس.

وضع باشا السلاح على رأسه وقبل أن يضغط على الزناد أمسك ياماتش يده فخرجت الرصاصة في الهواء. وقف باشا وكأن شيئاً لم يكن وقال:

- هل تشكّ فينا يا ياماتش؟

التفت إدريس نحو باشا وعمي وقال:

- السلام عليكم ورحمة الله.

رد عمي:

- وعلينا وعليكم السلام.

حل الصمت على المقهى وفهم باشا وعمي أن عليهما الذهاب وخرجا من المقهى، وقام متين

وكمال المنتظران في الخارج بتقبيل يديهما قبل أن يذهبا، ومتين وكمال ينظران خلفهما بإعجاب. قال متين لكمال:

- انظر جيداً يا ولد، لقد شهدت حدثاً تاريخياً الآن.

في إحدى حانات الحضرة

كانوا يغنون معاً ويتحدثون بمحبة ويطلبون من عليشو أن يشرب العرق وهو لا يريد ويضحك. بدأ الجالسون ينصرفون واحداً بعد الآخر وبقي إدريس مع ولديه ياماتش وسليم ثم ذهب إدريس وبقيا وحدهما. كانا يتحدثان ويضحكان ثم قال سليم:

- قل ما هو اسم تلك الفتاة؟

- موچجان.

- نعم نعم.

- تزوجت يا أخي وصار لديها ابنتان الآن.

- هل تتابعها يا عديم الشرف؟

- لا لا، يوجد شيء اسمه سوشيال ميديا يا أخي، عرفت من هناك.

- ألا يعد هذا متابعة لها أيضاً؟

ضحكا ثم سكتا قليلاً وقال ياماتش:

- ذهب الجميع إلى بيوتهم، ولم يبق سوانا يا أخي.

- وأنا سأذهب الآن أيضاً بجوار ابنتي.

- طبعاً، أنت تحب ابنتك.

- بالتأكيد أحبها.

- وتحب عائلتك.

- طبعا، ولماذا لا أحب عائلتي؟

في هذه الأثناء فهم سليم أن شيئاً ما يحدث وقال:

- ماذا حدث يا أخي؟

- هل تذكر ما قلتَ لي يا أخي؟ قلتَ إن عملية النقل لن يعرفها سوانا مع أبي وباشا وعمي.

أخرج ياماتش السلاح من جيبه ووضعه على الطاولة ثم أخرج الرصاص ووضعه بجوار المسدس وقد ابيضّ وجه سليم ثم قال ياماتش:

- باشا وعمي أكثر من إخوة لأبي، وبسببي وضعا السلاح على رأسيهما أمام أبي، هل تعرف لماذا؟ لأن عملية النقل لم يكن يعرف موعدها سوانا. لقد عبرا من الاختبار وبقيت أنتَ.

لاحظ سليم أنه لن يخرج من هذا الأمر لكنه حاول أن يتعامل بشكل منطقي وقال:

- انظر يا أخي.

- كم جميل ما قلتَ "أخي". لقد سأل والدنا عمي وباشا هل نحن إخوة أم روح واحدة، وأنا أسألك الآن نفس السؤال.

- هل جننتَ يا أخي؟

- أسألك يا أخي هل نحن إخوة وروح واحدة؟

أخذ ياماتش السلاح ووضعه على رأسه قائلاً:

- إنني أموت من أجلك يا أخي.

- لا تفعل يا ياماتش.

نظر ياماتش في عيني سليم وضغط على السلاح لكنه أُطلق في الفراغ ثم جهز السلاح ووضعه على الطاولة وقال:

- هل تموت من أجلي يا أخي؟

لم يرد سليم ونظر إلى الأرض ثم ضرب ياماتش على الطاولة حتى وقعت الكؤوس من عليها ثم وقف واقترب من سليم وقال:

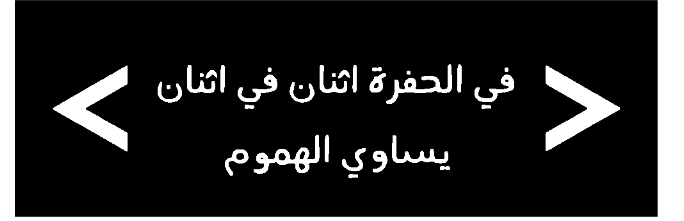
- هل تموت من أجلي يا أخي؟

أخذ سليم السلاح بسرعة ووضعه على رأسه

وضغط على الزناد فلم تخرج الرصاصة، وفهم ما فعل في هذه اللحظة وبدأ يتنفس بعمق وهو غاضب ثم قال:

- هل يكفي هذا؟

وضع سليم السلاح على الطاولة وخرج من الحانة مسرعاً وبقي ياماتش وحيداً دون أن يعرف ما عليه أن يفعل. كره نفسه لأنه اضطر أن يختبر سليم بهذه الطريقة، ولكن الشك ما زال بداخله. جلس ياماتش وحيداً في الحانة وقبل أن يذهب أخذ السلاح الذي قد أفرغه من الرصاص قبل أن يعطيه لسليم.



في مقهى الحفرة

أحضرت ثناء الشاي ووضعته على الطاولة وشكرها إدريس ثم بدأت الحديث مباشرة:

- هل قتلتَ أحداً من قبل؟

قاطعها ياماتش قائلاً:

- ثناء.

أسكت إدريس ياماتش بإشارة من يده وقال:

- نعم.

سألته ثناء:

- حسناً لماذا؟

- كان يجب أن أفعل هذا.

- ألم يكن هناك أي حل آخر؟

- ربما كان هناك حلول أخرى، لكن هذا هو الحل الذي أعرفه. إنك لا تشبهين بقية زوجات أبنائي يا ثناء. إنهنّ لا يقدرنَ حتى في أحلامهنّ على سؤالي مثل هذا السؤال، لكنك مختلفة. لا أقول ذلك غاضباً ولكن لأنكِ جئت

من حياة وأنا من حياة أخرى. أنتِ لا تفهمينني وأنا لا أفهمك، لكنني أحاول فهمك. لقد قُتل أبي أمام عيني وأنا ابن الخامسة عشر، وقتلوا أخي وأنا في الثامنة عشر. لقد ربحتُ كل شيء بأظافري، ولذلك أفعل كل شيء من أجل حماية ما وصلت إليه. نعم، قتلتُ شخصاً من قبل لأنني كنت مضطراً أن أفعل ذلك. يجب فعل كل شيء ضروري، أليس كذلك يا ياماتش؟

نظر ياماتش إليه غاضباً وكان يفهم ما يقصده إدريس لكن ثناء لم تفهم شيئاً ثم قال:

- هيا يا ثناء، اذهبي إلى البيت.

قال إدريس:

- لا، دعها هنا. لديها فضول حول حياتنا.

- يجب أن تذهب ثناء إلى البيت يا أبي.

فهم إدريس أن شيئاً ما سيحدث ثم قال:

- انتظر دقيقة. تعال يا كمال أنت ومتين، وخذا ثناء إلى دكان محيي الدين وابق أنت أمامه يا متين. وأنتِ شاهدينا من هناك يا ثناء إذا أردتِ.

نظرت ثناء إلى ياماتش، وفهمت من إشارة رأسه

أنه لا يوافق. قالت ثناء:

- حسناً، سأذهب إلى الدكان.

غضب ياماتش عليها لكنها لم تهتم وذهبت إلى دكان محيي الدين.

بعد قليل جاء سردار الكمربورغازلي ورجاله ووقفوا أمام المقهى ثم دخل سردار بمفرده، ونظر إدريس إلى ياماتش ليفهم الأمر. جلس سردار على طاولة إدريس وقال:

- السلام عليكم.

دون أن ينتظر الرد قال بأداء من يهدد:

- اسمي سردار، يقولون عني كمربورغازلي، ولا أحب الإطالة. لقد ذهبت إلى المقمرة التي قمتم بفتحها حديثاً ومبارك عليكم، وقد أخذتم مني ٤٠٠ ألف ليرة. ألا يربح الإنسان ولو لمرة واحدة؟

قال إدريس دون أن يرفع رأسه:

- يا بني.

قال سردار:

- انتظر أنت قليلاً يا جدّي. إنني أحترمك ولكن

اجلس واشرب شايك. إنني جئت للحديث عن أمور عمل. اسمي...

قال ياماتش:

- عرفنا اسمك يا هذا، ماذا تريد؟

في هذه الأثناء كانت ثناء تشاهدهم من دكان محيي الدين وهي مضطربة، وتفهم من محيي الدين أن شيئاً ما يحدث وأنه يحاول أن يشغلها لكي لا تشاهد ما سيحدث. أشار إلى صورة المغني جام كرجا وقال:

- هل تعرفين جام كرجا؟

في البدء لم ترد ثناء وكانت تشاهد ياماتش بانتباه ثم قالت:

- لا تؤاخذني يا أخي، يجب أن أشاهد ما يحدث.

وصل صوت سردار المرتفع إلى ثناء وهو يشير بإصبعه مهدداً ويقول:

- سوف تعيدون أموالي مرة أخرى.

قال إدريس:

- أنزل إصبعك هذا أولاً.

- قلت إنني لا أتحدث معك يا جدّي، لقد جئت لأخذ أموالي ولن أذهب بدونها.

- أنزل إصبعك هذا.

تدخل ياماتش:

- توقف يا أبي ثانية واحدة. كم هي أموالك التي خسرت يا سردار؟

- ٤٠٠ ألف ليرة.

- إذا أعطيتك هذه الأموال هل ستتركنا مرتاحين؟

- في نفس اللحظة.

بدا ياماتش وكأنه وافق ثم قال:

- تمام، إذا أعطيتك هذه الأموال فلينكح الجميع جدي السابع.

رفع سردار إصبعه في الهواء قائلاً:

- سوف أجعلك تأكل هذا الكلام. سوف ترى.

نظر إدريس إلى إصبع سردار ثم نظر إلى كمال وأثناء حديث سردار أطلق كمال الرصاص على إصبعه الذي سقط على الأرض. كانت ثناء تشاهد كل هذا ولا تدري ماذا تفعل.

كان إدريس يجلس في مكانه المعتاد بالصالون. أشار بيده لكي تجلس ثناء أما ياماتش فكان ينتظر في الخلف وهو مضطرب. قال إدريس:

- هنا الحفرة، ونحن عائلة كوتشوفالي وزوجك هو رئيس العائلة. ماذا قال الرجل الذي كان في المقهى قبل قليل، هل تعرفين؟ قال: "سأمحو كل عائلة كوتشوفالي من العالم". ومن عائلة كوتشوفالي؟ لستُ أنا وحدي أو زوجك، أنتِ أيضاً من هذه العائلة. وأكشين وأجار أبناء كهرمان من العائلة أيضاً. أنتِ رأيتِ الرجل ومن حوله، فماذا تقولين هل يفعل ما يقول؟

لم ترد ثناء وأكمل إدريس:

- هل يفعل هذا يا ثناء أم لا؟

- نعم يفعل.

- وماذا كنتِ ستفعلين لو كنتِ مكاننا؟ ماذا علينا أن نفعل يا ابنتي؟ زوجك على رأس العائلة فماذا يفعل؟ سأقولك لكِ. إنه سيفعل ما يجب فعله مثلما فعل من قبل.

أمام بيت إدريس

في شتاء عام ٢٠٠٧ كان رجال إدريس يقفون كالعادة أمام بيته. سُمع صوت موسيقى مرتفع من بيت إدريس.

كان ياماتش شاباً وكان بدروم البيت هو الملجأ له. فتح الموسيقى بصوت مرتفع، وأغلق عينيه وهو يهز رأسه مع الموسيقى. في هذه الأثناء طرق إدريس الباب بشكل حاد وقال:

- اخفض صوت الموسيقى.

ولأن الصوت كان مرتفعاً للغاية لم يسمعه ياماتش، فدخل إدريس وأخذ المسجل وألقاه على الأرض ثم نظر بغضب إلى ياماتش وانصرف بعد ذلك. أخرج ياماتش مسجلاً صغيراً يحتفظ به وفتح الموسيقى من جديد بصوت مرتفع وأغلق الباب بالقفل ثم جلس على الأرض. سمع إدريس صوت الموسيقى مرة أخرى وصار يضرب الباب بقدمه ثم فُتح الباب ودخل إدريس وأمسك بياماتش وألقاه نحو الحائط قائلاً:

- إذا أردتَ أن تعاندني فيجب أن تكون في نفس قوتي.

لم يرد ياماتش وضربه إدريس على وجهه عدة مرات وهو يقول:

- هل سمعتني؟ هيا افتح الموسيقى مرة أخرى.

جُنّ ياماتش من الغضب لكنه لم يفعل شيئاً ثم خرج إدريس من البدروم غاضباً وبدأ ياماتش يدور في البدروم كالمجنون. في هذه الأثناء فُتح الباب من جديد ودخل سليم وترك السماعات التي في يده ثم ابتسم وخرج. وضع ياماتش السماعات على أذنيه وفتح الموسيقى بأعلى صوت وأطفأ النور وجلس على الأرض.

دخل إدريس الصالون وكانت تجلس فيه سلطان وندرت وعائشة يشاهدنَ الأخبار ويأكلنَ الفاكهة. جلس إدريس وأخذ طبقه وبدأ في تقشير الفاكهة وفي هذه الأثناء يأتي سليم. قال إدريس:

- أين جمعالي؟

- إنه يصلي يا أبي.

- وكهرمان؟

- في غرفتك يتحدث مع عمي.

رأى إدريس عائشة تقشر الفاكهة لسليم فقال:

- قشّر لنفسك يا بك. هل هي خادمتك؟

ردت عائشة على الفور:

- ليست مشكلة يا أبي، إنني أحب أن أفعل هذا.

أخذ سليم الطبق من عائشة، وفي هذه الأثناء دخلت سعادات وفي يدها صينية الشاي، وأخذ الجميع شايه وبقي كوب واحد فقالت سعادات:

- أين ياماتش، ألم يأت؟

قال إدريس:

- لن يشرب. هيا اجلسي سيبدأ المسلسل.

قبل أن تضع سعادات الصينية على الطاولة اقتحم البيت مسلحون مجهولون. كان ياماتش في البدروم يسمع الموسيقى بأعلى صوت. قيّد المسلحون كل من البيت وبدأوا بضرب عمي وكهرمان وكان إدريس مقيداً في الصالون ويقرأ سورة يس وعندما رآه المسلحون هكذا قال أحدهم:

- هل تقرأ يس يا بابا، يعني فهمت أنك ستموت.

قال إدريس بهدوء:

- لا أقرأها لي بل لكم.

ضرب الرجل إدريس بالسلاح الذي في يده فوقع مع الكرسي الذي يجلس عليه.

كان ياماتش يسمع الموسيقى في البدروم، وجاء أحد الرجال وقبل أن يُشغل الضوء في البدروم سمع صوتاً من الأعلى فخرج مسرعاً. رفع ياماتش السماعات من على أذنيه وبعد أن سمع صوت الرجال في البيت فهم ما يحدث وخرج بهدوء وكان يتابع من على الدرج ما يحدث في الصالون وفهم أن عليه المساعدة لكنه لم يعرف ماذا يفعل. دخل إلى المطبخ في هدوء وخرج من هناك واتجه نحو غرفة إدريس ونظر من خلف الزجاج فوجد كهرمان وعمي مقيدين وعليهما أثار الضرب. لاحظ كهرمان وجود ياماتش، فأشار إليه بعينيه إلى قلم على الطاولة فدخل ياماتش وأخذ القلم وغرزه عدة مرات في قفا الرجل الذي يقف بجوارهما، دون أن ينظر في وجهه ثم بدأ في البكاء. سقط الرجل على الأرض وقام ياماتش بفك يدي كهرمان الذي قام وأخذ سلاح الرجل الملقى على الأرض. تهاوى ياماتش وهو يبكي وينظر إلى الدم على يديه أما عمي فحاول تهدئته. دخل كهرمان إلى غرفة جمعالي ووجده مقيداً ويقف رجل بجواره فقتله كهرمان وفكّ يدي جمعالي وقال: "لا يوجد غيرنا يا جمعالي". أخذ جمعالي السلاح من الرجل الملقى على الأرض

وخرج مع كهرمان.

انتهى الاشتباك بعد قليل، وجاء رجال كوتشوفالي وجمعوا الجثث من البيت، وسلطان وسعادات في صدمة كبيرة. قال إدريس لرجاله:

- لا تدفنوا أحداً منهم. ضعوهم في عربة قمامة وأرسلوهم إلى حيث أتوا ليعلموا كيف يُرسل رجال إلى بيتي.

قال عمي:

- هل نقطع أجسادهم؟

هزّ إدريس رأسه بما يوحي بالموافقة ثم قال:

- كن مع جمعالي يا عمي، يبدو أنه لن يسكت.

- سأفعل ما أقدر عليه، لكنك تعرف ابنك أكثر من أي شخص آخر.

- لو لم يكن ياماتش لضعنا اليوم يا عمي.

كان ياماتش يجلس مكانه ويبكي على الرجل الذي قتله، ويفكر في والده فقد صار الرجل الذي يريده إدريس. قام ياماتش مسرعاً والتقى بإدريس الذي فتح ذراعيه قائلاً:

- ولدي.

لم يرد ياماتش ولَكَم إدريس بسرعة فسقط على الأرض ثم هجم عليه ياماتش وجلس فوقه قائلاً:

- قلت لك لنذهب من هنا، لماذا لم تسمع كلامي؟

جاء عمي ليمسك ياماتش فمنعه إدريس وقال ياماتش:

- لقد تلوثت يدي بالدماء. قتلتُ شخصاً بسببك.

- ماذا قلتُ لك؟ ألم اقل إننا كل يوم سلاح، ألم أقل لك إنك ستفعل ما يجب فعله، ألم أقل إنك من دمي ولا يمكنك الهرب من ذلك؟

ترك ياماتش والده ووقف قائلاً:

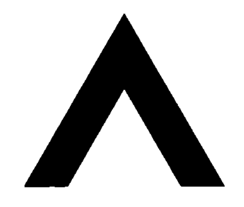
- أي نوع من البشر أنت؟ هل أنت إنسان؟

- إنني والدك وهذا بيتك وهذه عائلتك.

هزّ ياماتش رأسه رافضاً وصعد على الدرج مسرعاً ونادى عليه إدريس فلم يرد ثم جاءت سلطان وساعدت إدريس على الوقوف ومسحت الدم الذي على وجهه بمنديلها ثم نزل ياماتش واتجه نحو باب البيت وإدريس ينادي عليه. وقف ياماتش أمام الباب وقال إدريس بشكل حاسم:

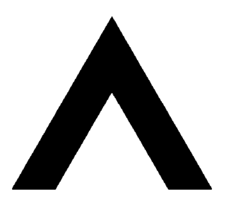
- إذا خرجت من هذا البيت فلا يمكنك أن تعود مرة أخرى.

كان ياماتش يكره إدريس في هذه اللحظة، وقال: "لن تأتي إذا متُّ ولن آتي إذا متَّ". قال ذلك وهو ينظر إلى إدريس الذي لم يرد فقد قِيل كل ما يُقال. خرج ياماتش من الباب وتركه مفتوحاً.

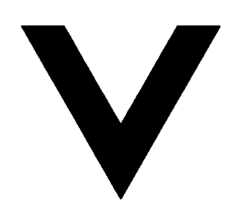


حاول ياماتش كثيراً ألا يُفقد سيطرته على نفسه، وجاهد لكي لا يُجنّ. ليتَ سردار لم يرفع إصبعه. لقد تسبب في ضرر لعائلة ياماتش؛ حيث خطف إدريس وثناء وهو لا يدري أنه سيموت بسبب ذلك. نعم لقد قُطع إصبع سردار، لكن ياماتش جُنّ جنونه.





أخذت موتوسيكل صديقي، ولم أكن أعرف القيادة لكنني تحمست. بدأ المطر وكنت أنزل المنحدر وأنا أمسح قطرات المطر من على الخوذة التي على رأسي، وفي هذه الأثناء كان الموتوسيكل تزداد سرعته وأنا أحاول إيقافه. لكنني ضغطت على الفرامل الأمامية فقط فارتفع القسم الخلفي للموتوسيكل وطرت في الهواء وأنا أفكر أنني قد متّ. ظللت في الهواء لعدة ثوانٍ ولم يكن أي شيء تحت سيطرتي. كان شيئاً مخيفاً لكنني حاولت أن أتذكر: هل كنتُ حراً مثل هذه اللحظات؟



سنلعب لعبة الآن

خرج سردار مع رجاله من المقمرة، وهم يمكسون بإدريس فوجدوا ياماتش أمامهم. كان يقف بجوار سيارتين وضع فوقهما سماعات كبيرة تصدر موسيقى مرتفعة. أوقف ياماتش الموسيقى قائلاً:

- تعال تعال، ألن تأتي؟ حسناً.

فتح الموسيقى مرة أخرى وأغمض عينيه فصرخ سردار:

- أغلق هذه الموسيقى.

- ماذا تقول؟

- أغلق هذه الموسيقى يا هذا.

- عفواً.

أغلق ياماتش الموسيقى ونظر إلى والده قائلاً:

- كيف حالك يا أبي العزيز؟ لا تؤاخذني لصوت الموسيقى المرتفع. سردار مثلك لا يحب الموسيقى. ماذا نفعل؟ الآن قل يا سردار ماذا تريد؟

- ستجلس على ركبتيك أمامي وتعتذر.

جلس ياماتش على ركبتيه واندهش سردار من ذلك ثم وقف ياماتش وقال:

- هل يكفي هذا؟ هل آخذ أبي وثناء؟ آه يا سردار، لقد قطعنا إصبعك وكان من الخطأ أن نفعل ذلك، وأنت أخذت أحبابنا. برافو عليك.

- ماذا شربت أنت؟

- هذه هي المشكلة. إنني لم أشرب أي شيء. لقد صرت هكذا بسببك. انظر، سنلعب الآن لعبة. سأختار واحداً منكم ومن أختاره سيخرج من بينكم ويذهب.

عدّ ياماتش الرجال واحداً واحداً ثم توقف عند سردار وقال:

- انحنِ يا سردار.

انحنى سردار فجأة وفي هذه الاثناء ضُرب الرجل الذي وراءه بالرصاص في رأسه. وأخذ رجال سردار إدريس إلى الداخل وقال سردار بصوت مرتفع:

- هذا مجنون وابن عاهرة.

صرخ ياماتش:

- إلى اللقاء يا أبي العزيز. اعتنِ بنفسك وأنت أيضاً يا سردار. إياك أن تموت فأنا الذي سأقتلك لقد وعدتني بهذا.

أخذتم الشخص الوحيد الذي أحبني

أخذ رجال سردار إدريس وثناء إلى مخزن للبضائع. كان إدريس يجلس في الزاوية وقد استجمع قواه قليلاً. قالت ثناء دون أن تنظر إليه:

- والدي مدير أمن متقاعد، وأمي محامية. لم تكن تعرف هذا، أليس كذلك؟

- نعم، لم أكن أعرف. لم يقل ياماتش أي شيء عن هذا.

- ياماتش أيضاً لا يعرف. لم أتحدث معه عن ذلك. هل تحب أولادك؟

- نحن لا نتحدث عن هذه الأمور.

- أمي لم تحبني أبداً. هل تعرف كيف فهمت أن الأم تحب ابنتها؟ كنت في الصف الخامس وذهبت إلى بيت صديقتي أصلي. كانت أمها في المنزل تشاهد التلفزيون، ونحن طلبنا أن نشرب الشاي،

لقد كبرنا وصار من حقنا أن نشرب الشاي الساخن.

- أثناء صبّ الشاي أوقعتِه فوق أصلي.

ردت ثناء مندهشة:

- نعم ولكن لم أفعل ذلك عن عمد، وأصلاً وقع القليل من الشاي لكن أصلي توجعت كثيراً. جاءت أم أصلي مسرعة وتعانقا وهما يبكيان معاً. في هذه اللحظة أدركت حب الأمهات لبناتهنّ. وعندما رجعت إلى البيت أوقعت الشاي على نفسي واحترقت كثيراً وكنت أموت من الوجع فجاءت أمي ثم قالت لأبي:

- إنني لا أتحمل غباء ابنتك. تعال وتصرف أنت.

أبي يحبني لكنه يحب أمي أكثر مني. عندما تزوجت ياماتش كنا نعرف بعضنا منذ خمسة أيام فقط، لكنني كنت متأكدة من حبه لي، حتى إنه أحبني لدرجة لم يحبني أحد مثلها من قبل.

أمسكت ثناء نفسها حتى لا تبكي، ونظرت في عيني إدريس قائلة:

- شكراً لكم. لقد أخذتم مني الإنسان الوحيد الذي أحبني.

كانت ثناء تجلس بالصالون في الظلام ثم دخل ياماتش وأشعل الضوء وقال:

- ألستِ مريضة يا حبيبتي؟

- هل من الممكن أن تنظر إليَّ؟

نظر إليها ياماتش فاندهشت عندما رأت وجهه وقالت:

- يكفي، إنني لم أعد أتحمل. أريد أن أكون معك حتى الموت، ولكن ليس هنا.

- إنني بخير يا حبيبتي، لا تبالغي.

- إنني لا أريد أن تموت، هل أنا إنسانة سيئة إلى هذا الحد؟ كل ما أريده ألا تموت.

- لن أموت أعدكِ.

- ستموت. ستبتلعك الحفرة. انظر كيف ابتلعت كهرمان. دعنا نذهب من هنا رجاءً.

- لن نذهب إلى أي مكان.

- ما الذي يجعلك تريد البقاء هنا، العائلة؟ لتأتِ عائلتك معنا أيضاً. أنتَ رأيتَ ما عشناه أنا ووالدك، وما حدث لكاراجا. هل هذه هي الحياة

التي تحلم بها لهم ولأبنائنا؟

- ألم تقولي لي بأنكِ معي في أي طريق أختاره؟

- ولكن ليس هذا الطريق يا ياماتش. هنا لا يوجد طريق، توجد حفرة كبيرة تبتلع الجميع، ونسقط فيها بلا توقف. هذه الحفرة لا قاع لها وستبتلعنا جميعاً.

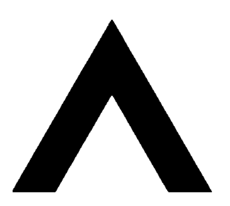
- هل أنهيتِ كلامكِ؟

- ما الذي يجعلك تتمسك بالبقاء هنا يا ياماتش، قل لي أتوسل إليكِ. كلامي لم ينته بعد. إنني ذاهبة إلى المكان الذي أحببتك فيه، المكان الذي قبّلتني فيه لأول مرة.

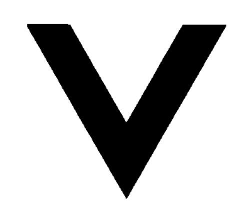
لم يجد ياماتش ما يقوله، واقتربت منه ثناء وقبّلته ثم قالت:

- مهما يكن الأمر فتعال معي يا ياماتش.

لم يرد ياماتش وخرج من الصالون ولم تبك ثناء. اتخذت قرارها وأرادت أن تطبقه. كانت تعرف حب ياماتش لها كما تعرف أيضاً أنها من الممكن أن تسمع خبر وفاته يوماً ما، وهذا أكثر ما يخيفها في الحياة.



أنا ثناء. أحببتُ رجلاً بشدة، وهو علمني أن أحب نفسي. من أجله دخلتُ عالماً لا أعرف عنه شيئاً. كنتُ مجروحة وجُرحتُ أكثر. قال لي إن كلّ هذا سينتهي يوماً ما وأنا صبرت، وصدقتُه حين قال إننا سنصبح سعداء. لم أحاول أن أجعل أحداً يقبلني ولم أتوسل إلى أحد ليحبني. كنت نفسي دائماً، فليحبني من يحبني لا يهمني. أنا ثناء، رفيقة ياماتش وشريكته وحبيبته وامرأته. أنا ثناء.



هموم فارتولو

خرجت سعادات من الماركت وفي يدها أكياس وبدأت تمشي مسرعة ثم توقفت فجأة أمام جدار، واتجهت نحوه مسرعة فرأت أن القلب المرسوم على الجدار بين حرفي السين قد أصبح ظاهراً وأن أحدهم قام بتنظيف العشب الذي على الجدار وأظهر القلب والحرفين. اندهشت سعادات كثيراً وتحمّست أيضاً واسترجعت ذكريات مرّ عليها ثلاثون عاماً، وصارت تنظر حولها باندهاش.

في هذه الأثناء جاء فارتولو بسيارته وكعادته كان يجلس في الخلف وقال عن ياماتش غاضباً:

- سوف أريه من هو فارتولو. افتح موسيقى أو أي شيء يا هذا.

فتح مدد الراديو وكانت السيارة تمر من أمام الجدار فرأى سعادات ونسي كل شيء وقال:

- قف يا مدد.

نزل فارتولو من السيارة وبدأ يشاهد سعادات من بعيد. بدأت سعادات في حمل الأكياس والسير مسرعة مرة أخرى. قال مدد:

- هل آتي إلى جوارك يا أخي، ماذا يحدث؟

أراد فارتولو أن يمشي خلف سعادات ولكي لا يفهم رجاله ما يحدث قال:

- اذهبوا إلى البيت وأنا سأعود لاحقاً.

- ماذا ستفعل يا أخي؟

- قلت اذهبوا إلى البيت يا مدد.

أخذ مدد السيارة وانصرف وبدأ فارتولو في السير خلف سعادات، ومرّا من الشوارع التي كانا يلعبان فيها أثناء الطفولة. وفي هذه اللحظة فكّر كل منهما بالأيام التي مرّت في هذه الشوارع.

وصلت سعادات إلى بيت إدريس، كانت مشتتة الأفكار ولم تفهم كيف مر هذا اليوم وبعد أن نام الجميع جلست وحدها على طاولة الطعام ثم رنّ هاتفها برقم غريب فاندهشت وردت عليه:

- أفندم.

قال فارتولو بأداء مختلف عنه وبتركية سليمة:

- ساديش.

- صالح.

- لم تنس.

اضطربت سعادات كثيراً فالمتصل هو حبيب الطفولة وحبّها الأول، ولم تحب أصلاً من بعده. قالت:

- كيف حالك؟

- بخير، وأنتِ؟

- أنا أيضاً بخير. هل جئتَ إلى الحفرة؟

- نعم جئتُ ولكن ليوم واحد. إنني أعيش في توكات وأعمل معلماً للغة التركية.

- هل صرتَ معلماً؟ كم هو جميل.

- جئتُ إلى مقابلة عمل في إسطنبول ليوم واحد. فقلت أمر على الحيّ.

- هل أنتَ من نظّف الجدار؟

- هل رأيتِه؟

- نعم، بالتأكيد. وسألت نفسي من فعل هذا.

- نعم أنا من نظفته. هذه ذكريات لا تُنسى.

- نعم، صحيح.

- هذا يعني أنكِ ما زلتِ في الحفرة.

- نعم.

- كنتُ سأسأل عنكِ ولكن قلت ربما تزوجتِ.

- لا لم أتزوج، وأنت؟

- أنا أيضاً لم أتزوج.

- هذا يعني أننا بلا حظ.

- صحيح. إنني سوف آتي مرة أخرى إلى إسطنبول ولكن لا أدري متى. عندما أعود سأمر عليكِ بالتأكيد.

- تعال لنتذكر الأيام القديمة.

- هل من الممكن أن أتصل بكِ حتى هذه الزيارة؟

- اتصل بالتأكيد، ليست مشكلة.

- حسناً، كوني بخير.

- وأنتَ أيضاً.

أغلقت سعادات التليفون وجلست دون أن تفعل أي شيء.

مرت بضعة أيام واتفقت سعادات وصالح على

اللقاء والتقيا في مسرح أحد المدارس. دخلت سعادات إلى القاعة وفي يدها كيس فلم تر أحداً بالداخل. اتجهت نحو خشبة المسرح فسمعت صوت صالح وفهمت أنه يتحدث من خلف ستارة المسرح. كان فارتولو مضطرباً للغاية في هذا الوقت واقتربت سعادات من صوته وقالت:

- لماذا أنتَ خلف الستارة يا صالح؟

- هذا ما يجب أن يكون.

- لكنني أريد رؤيتك.

- حسناً، وإذا لم تحبي الوجه الذي سترينه؟

- لماذا، هل حدث شيء لوجهك؟

- استمعي إليّ.

- لكنني جئتُ لرؤيتك.

- هل رؤيتي شرط؟ إنني هنا. ألا يمكن أن نتحدث هكذا؟

- لا أدري، هل يمكن.

- يمكن حتى لو لم نتحدث أصلاً.

وضع فارتولو يده على الستارة، وشعرت سعادات

بذلك فوضعت يدها هي أيضاً وقالت:

- ألن أراك أبداً؟

- لا أدري، ولكن ليس اليوم.

- من أين عرفت أنني كنت في الحديقة، هل كنت تشاهدني؟

- نعم.

- منذ متى وأنت هنا، ولماذا لم تقل إنك في الحفرة؟

- هل أقول الحقيقة أم الكذب؟

أوشكت سعادات على البكاء وقالت:

- وماذا لو لم أحب الحقيقة التي ستقولها؟

دمعت عيناه هو أيضاً وشعر أن سعادات قد فهمت الأمر قليلاً فسحب يده من على الستارة فقالت:

- لم تذهب يا صالح، أليس كذلك؟

أخرجت الفطائر التي أحضرتها له وقالت:

- أحضرت لك الفطائر التي كنت تحبها. هل أنت هنا يا صالح؟

عندما لم يأتها صوته لم تتحمل وفتحت الستارة فلم تر أحداً فبدأت في البكاء.

مرت عدة أيام أخرى، وأثناء سماع فارتولو للموسيقى في حديقة بيته كان يفكر في سعادات. في هذه الاثناء رنّ هاتفه وعندما عرف أنها هي تحمس كثيراً ففتح التليفون ولكن لم يجد ما يقوله. قالت سعادات:

- ألو. أنت هنا ولكن لن تتحدث يا صالح، أليس كذلك؟

هزّ رأسه بما يوحي الموافقة ثم قالت:

- إنني كنت بخير وكانت حياتي تمر، وكان همي الوحيد هو ما سأطبخه هذا المساء. من أين جئتَ إلى حياتي؟ بسببك، احترق الطعام وأنا أطبخ أمس. لماذا جئتَ وخربت حياتي؟

لم يرد فارتولو لأنه يعرف أنها محقة. وغضب على نفسه لأنه أفسد حياتها وحياته أيضاً. استمرت سعادات في غضبها وقالت:

- حمار.. سخيف.

كانت هذه الشتائم تأتيه كأكبر من أي شتائم من أشخاص آخرين. لاحظت سعادات خطأها فقالت:

- لم تذهب، ما زلت في الحفرة، أليس كذلك؟ لا تذهب رجاءً وابق هنا، حتى لو نتحدث أو نلتقي. يكفيني فقط أن تكون هنا.

لم يتحمل فارتولو أكثر من ذلك ولم يرد عليها فأغلقت التليفون.

في كوخ عليشو

كان ياماتش يجلس أمام عليشو في كوخه، وكان ياماتش يسأله أسئلة فيجيب عنها بشكل سريع.

سأله ياماتش:

- متى انتهى حصار ستلنغراد؟

- ٢ شباط عام ١٩٤٣.

- من هو الرئيس الرابع لأمريكا؟

- جيمس ماديسون.

- "على قدر لحافك مد رجليك" ماذا تعني؟

لم يرد عليشو بسرعة وتنفس بعمق ثم مدّ رجليه ولم يجب على السؤال. قال ياماتش:

- حسناً يا عليشو. أنت شخص طيب. عليك أن

تعرف هذا.

ابتسم عليشو وقال ياماتش:

- حسناً، ولماذا تقول لا يوجد شوكولاتة، هل لا يوجد للجميع أم لا يوجد لك فقط؟

- لا يوجد لك شوكولاتة أيها الطفل الأبله.

فهم ياماتش ما يقصده عليشو وقال:

- هل كان ذلك في العيد يا عليشو؟

- كان عندي كرة جميلة، وكان عندي شوكولاتة.

قال ياماتش:

- ثم جاء الأطفال وأخذوا الشوكولاتة.

- نعم أخذوها.

- ولم يعطوك الشوكولاتة لأنهم قالوا إنك طفل أبله. هل ضربوك؟

- نعم. وقالوا إنك أبله وأحمق ومجنون. ولا يوجد شوكولاتة من أجلك.

- سننتقم من الذين يؤذوننا يا عليشو. هل تتذكر أسماءهم؟ قل لي وأنا أجدهم على الفور.

- أنا وجدتُهم جميعاً.

- حسناً وماذا فعلت؟

- لم أفعل شيئاً. لديهم أطفال ولم أفعل لهم شيئاً.

- هذا يعني أنهم محظوظون ولا يعرفون ذلك.

- لا ليسوا كذلك. إن لديهم أطفال وزوجات وليسوا بمفردهم.

- صحيح.

رسالة إلى إدريس

وصلت رسالة إلى إدريس رسالة تقول:

"السلام عليكم يا إدريس بك. إنني قاسم أحد رجالك القدامى. كانت هناك امرأة تعمل في كباريه اسمه مَنَاكشَه، وكنتَ تعرفها باسم جونجا. أنت لا تذكرها لأنك سُجنتَ في نفس السنة ونسيتَ بالتأكيد. إنني زوجها. زوجوني إياها بعد أن سُجنتَ أنتَ، وعشنا في الحفرة. كانت حبلى، ولكن هل تعرف مِنْ أي شخص؟ ستسأل من الذي زوّجنا، وهذه مسألة أخرى ومعقدة. إنني سأخرج بعد

أسبوع من السجن وسوف يقتلونني في اليوم الذي أخرج فيه. إذا أردت أن تعرف ما حدث لابنك فقم بحمايتي. أرأيتَ يا إدريس بك، لقد فقدتَ ابناً وجاءك ابن آخر".

لم يعرف إدريس ماذا يفعل بعد أن قرأ الرسالة فقام باستدعاء عمي وباشا لكي يتحدثوا وحدهم في المقابر، ولأن باشا لم يعرف الموضوع بعد قال مازحاً:

- خيراً يا إدريس، هل بنيتَ لنا مقابرَ وتريد أن ترينا إياها؟

- نعم، اشتريت مقبرتين لكما بجوار مقبرة عائلتي. عشنا معاً وبعد الموت سننام معاً أيضاً.

- ماذا أقول، شكراً لك.

- لكنني لم أطلبكما من أجل ذلك.

وصلوا إلى قبر جونجا وقد كُتب عليه اسم مهريبان. نظر إدريس في أعينهما وقال:

- هل تتذكران جونجا؟

لم يكن لدى عمي أي علم بالموضوع أما باشا فلم ينس أي شيء من الموضوع. قال عمي:

- كم كان في حياتنا نساء باسم جونجا، فأي جونجا تقصد يا إدريس؟

لاحظ باشا أن إدريس ينظر إليه، وقال إدريس:

- جونجا التي تخصني، التي كانت تعمل في كباريه مناكشه، وسُجنتُ أنا آنذاك.

قال باشا:

- كأنني أتذكر قليلاً، ماذا حدث لها؟

- تزوجت وصار لديها ولد.

- حماه الله.

- قتلها زوجها عام ١٩٨٨.

اضطرب باشا عند سماعه لهذا وحاول أن يهدأ قليلاً ثم قال:

- ماذا أقول، رحمها الله.

قال عمي:

- ماذا يحدث يا إدريس؟

- هل تعرفان من هو زوجها؟ إنه قاسم سائقي القديم. عندما خرجت من السجن رأيته مرة أو مرتين لكنه لم يرد حتى على سلامي. كان هنا في الحفرة.

- كيف يعني؟

وصلوا إلى قبر مهريبان، ودون أن يشير إلى القبر انتظر الذي سيعرف مكانه أولاً منهما. قال عمي:

- إنني لم أفهم شيئاً.

رد باشا:

- وأنا أيضاً.

قال إدريس:

- تزوجت جونجا من سائقي القديم ثم ترك العمل وقتل زوجته هنا أمام أعينكما، وهذه كانت حبيبتي القديمة وأنتما لا تعرفان شيئاً عما حدث لها، أليس كذلك؟ من الجيد أن أحدهم لم يأخذ الحفرة بأكملها أثناء سجني.

ابتعد إدريس قليلاً وقال عمي:

- ماذا حدث يا باشا؟

- لا أدري.

نظر إدريس إليهما قائلاً:

- اسمها الحقيقي مهريبان ولديها ولد ستجدانه لي.

مشيا خلف إدريس وكان باشا يلتفت وينظر إلى قبر مهريبان ويحاول إخفاء اضطرابه.

احكِ لي قصة

كان فارتولو يجلس في إحدى الحانات خارج الحفرة ومدد وجلاسون يقفان من حوله. لم يكن أحد في الحانة غيرهم، وعلى الطاولة قدح عرق وبعض المخلل والجبن والخبز، وفي زاوية الطاولة عقود بيوت الحفرة. كان فارتولو متحمساً للغاية ثم فُتح باب الحانة ودخل إدريس فحاول فارتولو إخفاء توتره ووقف يستقبل إدريس الذي دخل مع متين وكمال ثم أشار فارتولو بيده إلى الكرسي وقال:

- أهلاً بك يا إدريس بك.

جلس إدريس أمامه، وكان يُفهم من تعبيرات وجهه أنه ليس سعيداً وأنه جاء مضطراً إلى هنا لأنه يفعل أي شيء من أجل الحفرة. نظر إدريس إلى مدد وجلاسون وفارتولو ثم فهم أن عقود بيوت الحفرة على الطاولة وقال:

- لقد مزّقتَ مؤخرتك حتى تُجلسني على هذه الطاولة، ولكن فعلتَ في النهاية. برافو عليك. هيّا، ماذا تريد من أجل إعادة العقود؟

التفت فارتولو نحو مدد قائلاً:

- اخرجوا الآن.

خرج مدد وجلاسون وقال فارتولو:

- شكراً لحضورك يا إدريس بك ولأنك لم تكسر خاطرنا.

- أعطني قنينة العرق أولاً.

اندهش فارتولو وصبّ لإدريس العرق بنفسه ووضع عليه بعض الماء فقال إدريس:

- صحيح، أحب ماء قليلاً على العرق، من أين عرفتَ هذا؟

لم يعلق فارتولو وتذكر أمه التي قالت إن والده كان يحب قليلاً من الماء على العرق. قال فارتولو:

- أنا أشربه هكذا أيضاً، ولذلك فعلت هذا.

نظر إدريس إلى قدح فارتولو ثم نظر إلى عينيه وقال:

- قل ماذا تريد الآن؟

- سأعطيك كل العقود باستثناء عقد واحد.

تنفس فارتولو بعمق وأمسك بالعقود وأغلق عينيه

ثم اختار عقداً من بين عقود بيوت الحفرة وكأنه لم يرتب للأمر من قبل وقال:

- اخترت واحداً دون أن أرى.

وضع العقد الذي اختاره جانباً وبقيت بقية العقود أمامه فقال إدريس:

- ماذا تريد مقابل هذه العقود يا سعد الدين فارتولو؟

سكتا قليلاً وكان إدريس يحاول بنظراته أن يفهم فارتولو أما الآخر فكان متحمساً لأنها المرة الأولى التي يجلس فيها بمفرده مع والده، وتذكر أن أمه كانت قد قالت له إن والده سيجده يوماً ما وسيحكي له بعض القصص مثلما كانت تفعل أمه. حاول فارتولو أن يمنع نفسه من البكاء وقال:

- احكِ لي قصة.

- ماذا تقول أنت يا هذا؟

- لم يحك لي أبي قصة أبداً، فاحكِ أنت لي.

أزاح فارتولو العقود إلى ناحية إدريس وقال:

- ثم خذ كل هذه العقود.

نظر إدريس طويلاً إلى فارتولو، وكان يدرك أن

إدريس سيرفض طلبه لكنه فاجأه وبدأ يحكي قصة له، وعند انتهاء القصة أخذ العقود وقال:

- أنت رجل عاقل، حتى الآن حاول كثير من الرجال معي لكنهم فشلوا، لكنك فعلتَ وأخذتَ عقود بيوت الحفرة. إنني لا أحتقر أعدائي وإلا فلن أستطيع أن أقرأ أفكارهم، لكنك قتلتَ فكانت كراهيتي لك بمثابة ستارة على عينيّ تحجب فهمي لك، لكنني سأفهمك يوماً يا سعد الدين فارتولو. ولم يبق إلا القليل.

قال إدريس ذلك ثم خرج، وبقي فارتولو مشتت الفكر وهو يحاول الإمساك بياقة قميصه ويسحبها بعنف حتى تسقط الأزرار على صدره وتظهر السلسلة التي تتدلى على صدره.

أنتَ قتلتَ ابنه

كانت سعادات تنتظر فارتولو وهي تشاهد المدفأة في صالون بيته حين سمعت صوت أقدام قادمة فدخل سعد الدين يعني صالح بالنسبة لها فالتفتت ونظرت إليه فرأت صالح ولكن بهيئة مختلفة تماماً فلم تصدق ما رأت ولم تجد ما تقوله أما فارتولو فقال بتركية سليمة على غير عادته:

- كيف عرفتِ؟

- رأيتك من الشباك عندما جئتَ إلى بيتنا.

فتح فارتولو ذراعيه وقال:

- ها أنا هنا.

- لماذا، قل لي رجاءً؟

- لقد قتلوا أمي.

- وقد قُتل والدي أيضاً، لكنني لم أقتل ابن أحد.

غضب فارتولو وبدأ صوته يعلو ويقول:

- إدريس أخذكِ إلى بيته، إليس كذلك؟ لقد أرسلني إلى جهنم، ولم يكن معي أحد. أنتِ نمتِ في سرير دافئ وأنا بين الكلاب في الشوارع. هل أكلتِ صرصاراً من الجوع من قبل؟ أنا أكلت. هل تغاضيتِ من قبل عن تحرُّش بائع الخبز مقابل لقمة؟ لقد رماني إدريس، الذي صار والداً لكِ، بين الوحوش وحدي. إنني قتلت ابنه، نعم، لكنني ابنه أيضاً ومتّ ألف مرة.

- أنت قتلتَ ابنه هل برد داخلك؟

تهاوى فارتولو في مكانه وقال:

- لا لم يبرد.

جاءت سعادات إلى جواره وقالت:

- افعل ما تفعل ولكن لن يبرد داخلك.

- اسكتي يا سعادات.

- أنتَ قتلتَ نفسك أيضاً.

جلست سعادات بجواره وقالت:

- لن يسامحك الآن إذا ذهبت واعتذرت له. لقد قتلتَ كل الاحتمالات.

- اسكتي من فضلك يا سعادات.

بدأ فارتولو في البكاء وأسند رأسه إلى كتف سعادات فعانقته ولم يعد يتحمل فبدأ يجهش بالبكاء.

في مستشفى الحفرة

كان متين ينتظر بجوار قاسم، والطبيبة تعلق المحاليل له. دخل ياماتش إلى الغرفة غاضباً وقال:

- هل هو في وعيه؟

قالت الطبيبة:

- لا.

- هل من الممكن إيقاظه الآن؟ رجاء أيقظيه الآن.

أعطت الطبيبة علاجاً لقاسم فعاد إلى وعيه وقال ياماتش:

- اخرج يا متين مع الطبيبة.

بقي ياماتش مع قاسم وقال له:

- انظر، أعرف أنك تتوجع وسوف تعود لنومك من جديد.

- نَوْرَا...

اتصل ياماتش بعمي وقال:

- أظهر نورا له في الكاميرا.

عندما رأته نورا بدأت في البكاء ثم قال ياماتش:

- انظر يا قاسم إن عائلتك في أمان.

ثم عاد إلى نورا قائلاً:

- سيكون بخير ولكن يجب أن أغلق الآن.

أغلق ياماتش الهاتف ثم عاد وقال:

- أجبني الآن يا قاسم، ما اسم زوجتك السابقة،

التي قتلتها ولها ابن اسمه صالح؟

- نورا

- ليست نورا، أريد اسم زوجتك القديمة أم صالح.

كان قاسم كمن سيفقد وعيه من الوجع لكنه نطق حرف الميم فقط فقال ياماتش:

- أرجوك قل مينا.

- مهريبان.

بعد أن قال قاسم هكذا غاب عن الوعي مرة أخرى ودخل ياماتش في صدمة كبيرة وتراجع قليلاً إلى الخلف ثم سقط في مكانه.

في إحدى حانات الحفرة

كان باشا يجلس مع إدريس في الحانة دون أن يتحدث أحدهما إلى الآخر لمدة من الوقت ثم قال إدريس:

- قلتُ لك إنك أخي، وقد عبرتَ امتحان الأخوة إلا أن الأمر مختلف الآن. لدي ابن وأنت تعرف وأخفيتَ عليّ ثلاثين عاماً، فلماذا فعلت هذا؟

لم يجد باشا ما يقوله. فهو لم يقتل قاسم وانكشف السر الآن. قال باشا:

- هل أذهب من الحفرة؟ لأنني لن أخبرك بالسبب وأنت لن تتحمل قتلي. كنت أظن أنني سأحافظ دائماً على السر الذي احتفظت به لثلاثين عاماً، ولكن لم يحدث. هل أذهب من الحفرة؟

وقف باشا وفي نفس اللحظة أمسك إدريس بياقة قميصه وسأله:

- ماذا فعلتَ بابني يا باشا؟

- لم أفعل شيئاً، أرسلته من هنا. لا أعرف ماذا حدث له بعد ذلك.

- لماذا لم تخبرني، ألست أخوك؟

- نعم أخي بالتأكيد ولذلك لم أقل لك. ومهما كان عقابي فأنا راضٍ.

- أعطيك مهلة ٢٤ ساعة ثم اذهب من هنا، ودّع أحبابك وامحِ وشم الحفرة من على جسدك ثم اذهب حيث شئت.

قال إدريس ذلك ثم خرج من الحانة على عجل.

ذهب ياماتش إلى بيت ثناء، وطرق الباب وبعد أن رأى ثناء قال:

- هل تريدين موتي؟

- لا تمت.

- أُجَنّ إذن!

- إياك أن تجنّ.

- عانقيني قليلاً

عانقته ثناء وقال لها:

- ماذا أفعل يا ثناء؟ كيف سأخرج من الحفرة دون أن أُجنّ؟

لم ترد ثناء وبدأ ياماتش في البكاء وهو يقول:

- أعتذر لكِ. حدث ذلك بسببي، أنا الذي أخذتكِ إلى الحفرة.

- لا تفكر فيّ.

- ماذا أفعل يا ثناء؟ إنني لم أختر هذا الواقع. كان يجب علي أن أعود إلى الحفرة وجاء فارتولو أيضاً، ماذا أفعل يا ثناء؟

- اهدأ قليلاً يا ياماتش.

- لم أعد أتحمل يا ثناء.

تذكر ياماتش وقتها كهرمان وقتل فارتولو له ثم قال:

- لماذا قتلتَ أخي؟

استمر ياماتش في البكاء وبدأ يفقد وعيه وثناء تصرخ وتطلب المساعدة.

فارتولو يبحث عن قاسم

كان فارتولو يروح ويجيء في الغرفة وهو ينظر إلى هاتفه من وقت لآخر وبمجرد أن رنّ الهاتف رد سريعاً:

- هل وجدتَه يا هذا؟

- وجدتُ شيئاً يا أخي.

- أحسنتَ.

- وجدتُ شخصاً إذا نجحت في جعله يتحدث فسوف نعرف مكان زوجة قاسم وابنه.

أخذ فارتولو ورقة وقلم وكتب العنوان الذي ذكره الرجل ثم نزل مسرعاً إلى الصالون وأراه إلى جلاسون وقال:

- انظر يا جلاسون، هل تستطيع أن تجد هذا العنوان؟

- ليست مشكلة يا أخي، سأجده.

- هيّا إذن، اجمع الرجال لنذهب معاً.

في هذه الأثناء رن هاتف فارتولو، وظهر اسم بايكال ثم خرج فارتولو إلى حديقة البيت غاضباً.

في مستشفى الحفرة

جاء ياماتش إلى المستشفى وكان كمال والطبيبة بجوار قاسم. قالت الطبيبة:

- أراد أن يتحدث معك. لديه وجع كبير، ويجب أن ينام مرة أخرى. رجاء تحدث معه قليلاً.

اقترب ياماتش من قاسم فقال له:

- من أنت؟

- أصغر أبناء إدريس.

- هل أنت سليم؟

- لا أنا ياماتش أصغر من سليم.

- أين والدك؟ كان من المفترض أن يحميني فانظر إلى حالي الآن.

- إنه لا يعرف شيئاً عن وضعك الآن. سأحكي لك لاحقاً بعد أن تتعافى.

- كيف حال زوجتي وابني؟

- أنت قتلتَ زوجتك وابنك.

- لم تكن زوجتي وابني. الآن لدي ابن وزوجة فقم بحمايتهما. صالح هو الذي يفعل كل هذا، وإذا وجدهما فسيقتلهما.

- من هو صالح؟

- ابن أبيك. هو من فعل كل شيء. قم بحماية عائلتي وسوف أشرح لك كل شيء.

- حسناً أنا أعرف كل شيء.

- لا تعرف. صالح سيقتلهما. أنت كوتشوفالي ويمكنك حماية عائلتي.

خرج فارتولو إلى حديقة البيت ورد على الهاتف:

- أعتذر أيها السيد، هناك مسألة أحاول حلها.

غضب بايكال وقال:

- ما خصّني أنا بمسألتك؟ يوجد شخص واحد هو الذي لا يمكنه ألا يرد على اتصالي. فمن أنت لتفعل هذا؟

- أعتذر أيها السيد، ولكن هناك مشكلة.

- قل إذن ماذا حدث.

- سأشرح لك بعد انتهاء الأحداث.

- أي أحداث؟ أنا لم أطلب منك أن تفعل شيئاً.

- هذا أمر لا يتعلق بالذي بيننا.

تذكر بايكال عقود بيوت الحفرة وقال:

- العقود معك، أليس كذلك يا فارتولو؟

- نعم لا يوجد مشكلة بذلك.

- إذن أعدها إليّ.

- لدي عمل يجب حلّه الآن.

- اركب سيارتك الآن وأحضر لي العقود يا فارتولو.

لم يعد فارتولو يتحمل وبدأ يصرخ ويشتم ثم أغلق الهاتف. ضحك بايكال وقال:

- أووووه سعد الدين نسي نفسه وتجاوز حدّه.

ثم قال لرجاله:

- راقبوا سعد الدين وأخبروني إلى أين يذهب وماذا يفعل. وأحضروه لي من أي مكان.

خرج رجال بايكال وبعد عدة ساعات عادوا بفارتولو إلى مخزن بايكال وفهم فارتولو للمرة الأولى مدى خطورة بايكال وقال:

- أعتذر أيها السيد، أحياناً أتجاوز حدّي. عندما أغضب لا ترى عيناي أي شيء. سامحني على عدم احترامي.

- لا يكفي. من أنت، هذا ما أريد معرفته الآن.

- إنني سعد الدين أيها السيد.

- تمام.

أشار بايكال فقام أحد رجاله برفع الستار عن غرفة زجاجية فظهر فيها رجال فارتولو مقيدين ثم بدأوا بفتح الغاز عليهم في الغرفة، وبدأ جلاسون ومدد وجميع رجال فارتولو في السعال. قال فارتولو:

- لا تفعل يا بايكال بك.

- من أنت؟

- سعد الدين. سعد الدين فارتولو.

- من أنت؟

كاد فارتولو أن يُجنّ وقال:

- بايكال بك، أيها السيد لا تفعل.

- من أنت؟

- صالح حلوجي.

ثم رفع فارتولو رأسه ونظر إلى بايكال كأنه يريد أن يقتله ثم قال:

- أنا صالح حلوجي. ها قد سمعت. دع رجالي.

أشار بايكال إلى رجاله فقاموا بإفراغ الغرفة الزجاجية من رجال فارتولو ثم دخل بايكال غرفة أخرى مع فارتولو، وقد ارتاح قليلاً بعد إنقاذ رجاله. قال بايكال:

- بدأنا الحديث الآن يا صالح حلوجي. لماذا لم تقل لي إنك من الحفرة.

- لو كنتَ عرفتَ لما قبلتني. لدي حساب شخصي مع أهل الحفرة. أريد أن أُنهي الحفرة. وقد أخرجك الله في طريقي. إنني ولدت وكبرت في الحفرة ولو قلت لك هذا

لما جعلتني أعمل معك.

- ومن هو قاسم؟

- زوج أمي. قتل أمي وأفسد حياتي. أرسلوني إلى جدي في فارتو وأنا في الثامنة وعشت كأنني في جهنم. كان قاسم سائقاً عند إدريس من قبل، وإدريس ساعد الجميع لكنه ألقاني في جهنم. لقد أحرقوا حياتي وأنا سأفعل بهم نفس ما فعلوا. لن أموت قبل أن أدمر قاسم وإدريس معاً. سأفعل هذا بك أو بدونك.

- كان يجب ألا تخفي عليّ هذا.

- مات صالح منذ زمن طويل.. إنني الآن سعد الدين.

- إنني أثق في الماس بصعوبة. كيف سأثق فيك بعد الآن يا سعد الدين، وكيف ستمنعني من قتل رجالك في الخارج كالصراصير؟

- ألم أفعل حتى الآن كل ما تريد؟ لقد فعلت.

- لم تفعل. قلت لك أحضر لي العقود. هذه العقود ليست لك يا فارتولو. أين العقود؟

- أعدتها لهم لأن الأمر تطلب ذلك.

- أنتَ من أراد هذا يا فارتولو.

قبل أن يشير بايكال إلى رجاله مرة أخرى، قال فارتولو:

- إنني لم أجدك، أنت الذي وجدتني واختبرتني، فلماذا أخذتني إلى جوارك؟ لأنني قادر على فعل كل شيء، ولذلك صرتُ سعد الدين فارتولو. إنني جئت وحدي إلى هنا، وهؤلاء الرجال الذين معي، ليسوا معي هباءً، وأقدمهم معي هو مدد. اقتل الجميع إذا أردت وسأبدأ من جديد وسأصبح سعد الدين مرة أخرى. سأبقى في الحياة، هذا هو عملي.

بعد أن قال فارتولو ذلك، انصرف وكان يتمنى أن ينادي عليه بايكال، وقد فكر بايكال أثناء ذلك وقبل أن يقترب فارتولو من الباب قال بايكال: "يجب عليك أن تكسب ثقتي مرة أخرى يا فارتولو".

فرح فارتولو بإنقاذ رجاله ورجع إلى بايكال قائلاً: "ماذا تريد يا بايكال بك، فقط قل لي".

في مقهى الحفرة

جلس إدريس في مكانه المعتاد بالمقهى، ودخل عمي من الباب وهو لا يدري أي شيء عما يحدث فوجد عائلة كوتشوفالي وقال:

- السلام عليكم.

جلس بجوار إدريس وفهم أن هناك شيئاً فقال:

- ماذا حدث لكم هكذا؟

رد إدريس:

- لمن؟

- لك أنت وياماتش وباشا، ماذا حدث لكم؟

- من الجيد أنك أتيت الآن، كنت سأتحدث معك في هذه المسألة.

- أي مسألة؟

دخل باشا إلى المقهى، وكان من الواضح أن ياماتش أجبره على المجيء ثم جلس على إحدى الطاولات فقال عمي:

- تعال واجلس هنا يا باشا.

قال ياماتش:

- هل سمحتَ لنا قليلاً يا عمي؟

رد إدريس:

- لا تخرج يا عمي.

قال ياماتش:

- اخرج من فضلك يا عمي.

غضب عمي وصرخ: كفى!

قال إدريس:

- اجلس مكانك يا مجاهد.

قال ياماتش:

- انظر يا عمي، يوجد لوالدنا إدريس ابن آخر، وليس من أمنا. باشا كان يعرف هذا وأخفاه على أبي. وما حدث بالأمس كان يتعلق بهذا الأمر. أبي تخلّى عنه، وقام باشا بإرساله لعائلة أمه. لدي سؤال إلى باشا لن أدعه يذهب حتى يجيبني، لماذا فعلت هذا يا باشا؟

- لن أقول، لا تحاول يا ياماتش.

- هل نحن إخوة وروح واحدة يا باشا؟

- إننا إخوة وروح واحدة.

- لماذا فعلت يا باشا؟

- لكي أحمي عائلتي. ولو عادت بنا الأيام لفعلت نفس الشيء.

كانت هذه هي المرة الأولى التي يغضب فيها إدريس إلى هذا الحد، وقال:

- لماذا لم تأت إلي وتخبرني؟

- ماذا كنتَ ستفعل يا إدريس؟

- هذا ولدي يا هذا، هل سأسألك ماذا سأفعل لولدي؟

- الحفرة بيتنا وإدريس والدنا، ولكن سلطان أمنا أيضاً، هل كنت ستصبح إدريس بلا سلطان؟ عندما كنتَ في السجن جاءتك مهربيان مع ابنها، وقالت لسلطان خذوا الولد عندكم. كانت سلطان ستترك كل شيء وترحل، هل كنت ستصبح إدريس بلا سلطان؟ إنني حافظت على هذه العائلة. أنت تظن أنها عائلتك وحدك، ولكن من الذي يقبل يدي في العيد يا هذا؟ ومن الذي زوّج ندرات وكهرمان؟ إنني حافظت على عائلتي.

جلس باشا بعد أن أنهى حديثه، وجلس إدريس أيضاً.

دع إخوتي

كان إدريس وكمال يمشيان ومن خلفهما أهالي الحفرة، قال إدريس:

- هل رأى أحد عمي وباشا اليوم؟

- لا.

في هذه الأثناء سُمع صوت عليشو يقول:

- بابا بابا.

- أفندم عليشو. هل رأيت عمي وباشا؟

- نعم نعم، رأيتهما مع فارتولو.

توقف إدريس فجأة، ونادى على رجاله ليجتمعوا.

كان عمي وباشا مقيدين في بدروم بيت فارتولو بعد أن ضُربا كثيراً وسالت دماؤهما. وكان جلاسون لا يستطيع أن ينظر حتى في أعينهما، ومال على مدد قائلاً:

- ستحدث مشكلة كبيرة، أنت تعرف ذلك، أليس كذلك؟

- كم رأينا من المشكلات يا جلاسون، أنت لا

تعرف شيئاً.

سمع فارتولو كلام جلاسون وقال:

- ماذا تقول يا جلاسون؟ لماذا لم تقل إن فارتولو أخي قد تعب وعليّ أن أضرب باشا وعمي بدلاً منه؟

- قلت إن مشكلة كبيرة ستحدث يا أخي.

- لتحدث.

عاد فارتولو إلى ضرب عمي وباشا وهو يقول:

- أليس كذلك يا وزيري السوء؟

في هذا الوقت كان إدريس مع متين وكمال يتجهون نحو بيت فارتولو، وفي الطريق قام إدريس بإرسال أحد رجاله لكي يطلب من نساء بيته أن يختبئنَ. وصلوا أمام الباب الحديدي لبيت فارتولو وصرخ إدريس:

- افتحوا هذا الباب. افتح الباب يا فارتولو، لقد جاء إدريس كوتشوفالي.

ذهب أحد رجال فارتولو إليه وقال:

- إدريس جاء يا أخي ومعه رجال كثيرون.

- وأنا كنت أسأل نفسي متى سيأتون. هيا لنخرج يا مدد.

خرج الجميع من البيت وبقي جلاسون في البدروم. كان ينظر مضطرباً إلى عمي وباشا. في هذه الأثناء ابتسم عمي وقال لباشا:

- جاء حبيبك.

بدأ باشا في البكاء وهزّ رأسه موافقاً.

رأى فارتولو ورجاله عندما خرجوا أن إدريس ورجالع دخلوا من الباب الحديدي فقال:

- إذا حدث شيء لي يا مدد فلا تمت قبل أن تقتل عمي وباشا.

- حسناً يا أخي.

واجه إدريس ورجاله فارتولو ورجاله ولم يكونوا قد أخرجوا سلاحهم بعد. قال إدريس:

- ستترك إخوتي يا فارتولو.

- لن أتركهم.

- ستتركهم يا فارتولو.

- سمعتَ ما قلتُه فماذا ستفعل؟

- يا رجال!

بمجرد أن نادى إدريس على رجاله، قاموا بإخراج السلاح في وجه فارتولو ورجاله الذين فعلوا الشيء نفسه وكان إدريس يتمتم شيئاً فقال فارتولو:

- هل تقرأ سورة يس يا إدريس كوتشوفالي؟

- ليس من أجلي ولكن لك أنت.

في وسط هذا المشهد المضطرب، سُمع صوت ياماتش وهو ينادي على إدريس وقبل إطلاق النار دخل ياماتش بين إدريس وفارتولو فقال إدريس:

- ابتعد يا ياماتش.

- اسمح لي يا أبي، أنا سأحل المشكلة.

- ماذا ستفعل؟ عمي وباشا في الداخل.

- أعرف، ولكن اذهب إلى البيت وأنا سأحل الأمر.

- لن أذهب دون إخوتي.

قال فارتولو:

- لن تأخذهم.

صرخ ياماتش:

- حسناً، وأنا لن أذهب من هنا.

حل الصمت قليلاً ثم أنزل إدريس سلاحه، وانصرف مسرعاً وهو يصرخ:

- تعال معي يا ياماتش.

تنفس ياماتش بعمق ونظر إلى فارتولو ثم ذهب خلف إدريس.

في صالون بيت إدريس

جلس عمي وباشا وسلطان أمام إدريس، وقد استجمعا قوتهما قليلاً وارتديا ثياباً أخرى أما سلطان فقد حاولت كثيراً لمنع قدوم هذه المواجهة لكنها لم تنجح. قال إدريس:

- إننا معاً منذ ثلاثين عاماً، هذا يعني أن كل شيء كان كذباً. كان خلفي جبل يحميني وأنت قمت بهدم هذا الجبل.

رد عمي:

- لا تقل هذا يا إدريس.

- كيف لا أقول هذا؟ كنتُ أنا الرأس وأنتما ذراعاي وسلطان عقلي. ذهب عقلي وذراعي.

قال باشا:

- عقلك كانت ستذهب قبل ثلاثين عاماً يا إدريس.

- هل كنتِ ستذهبين حقاً يا سلطان؟

- نعم. إذا كنتَ ستأتي بابن ليس من أبنائي إلى البيت كنتُ سأذهب.

- كم يوجد سلطان في الحفرة هل تعرفين؟ إنهم يضعون اسمك لأبنائهنّ لكي يتشبهنّ بكِ. أنتِ أم الحفرة، تحمين الفقراء. ألم تحزني أبداً وأنتِ تُلقي بابني إلى الشارع؟

- إنني فعلت ما أؤمن أنه صحيح.

- هذا يعني أنني أخطأتُ وأنتِ قمتِ بإصلاح الخطأ، أليس كذلك؟

- نعم.

- إذا كان خطأ فهو خطئي. فمن أنتم لتفعلوا هذا؟ كنتُ لن أترك هذا الولد وحيداً وكنتم ستقبلون هذا، ولكن لم يتغير شيء سوف أجد هذا الولد وسيعيش في هذا البيت وسيحمل اسمي. وإذا كنتِ قد قررتِ ترك البيت منذ ثلاثين عاماً إذا جاء الولد فيمكنكِ

الذهاب الآن.

وقف الجميع وقال عمي:

- لا يمكن أن يحدث شيء كهذا يا إدريس.

قال باشا:

- إنني سأذهب كما قلت، أنا الذي أذنبت.

قال إدريس صارخاً:

- اسكتوا جميعاً. قلت ما لدي.

بعد أن قال إدريس ذلك خرج من الصالون وأوشك عمي وباشا على الخروج من خلفه لكن سلطان أشارت لهما بعدم الخروج.

في قاعة مسرح المدرسة

دخل فارتولو ونظر حوله فلم ير أحداً. خرجت سعادات من خلف الستارة وقال فارتولو:

- كيف حالك يا ساديش؟

- بخير، وأنت؟

- وأنا أيضاً بخير. دعيتني فأتيتُ.

- أعطى إدريس مهلة ٢٤ ساعة لياماتش، وقال إذا لم يذهب فارتولو بعد ذلك فسوف تقوم القيامة.

- إنني هنا وليفعل ما يريد.

- أنت لا تعرف من هو حتى الآن.

- وإذا عرفت فماذا سيحدث؟

- سأسألك شيئاً يا فارتولو: أليس لي قيمة في عينيك؟

- ومن لي غيرك يا ساديش؟

- أغلق عينيك الآن، هل ذهبتَ إلى توكات من قبل؟

- نعم ذهبتُ. مكان جميل وفيه أشجار وبحيرة. يريد الإنسان أن يعيش هناك.

- حسناً إذن، تخيل بيت بين الأشجار هناك، والشاي على النار في مطبخ البيت والثلج يتساقط في الخارج. أنا أعد الفطائر وأنتَ تجلس بجوار الشباك وتقرأ لي الجريدة وتقول: انتقل معلم اللغة التركية صالح حلوجي وزوجته وأولاده إلى توكات. ويكون لدينا ولدان؛ الأول في الخامسة والثاني ولد حديثاً. أنت

تلعب مع الأولاد وأنا أجلس تحت شجرة أرضع طفلنا. إننا سعداء جداً. افتح عينيك الآن.

- لا أريد.

- افتح عينيك.

فتح فارتولو عينيه وكان يمسك بيدها، قالت سعادات:

- انظر، هنا الحفرة. أنت هنا سعد الدين فارتولو وأنا سعادات ابنة إدريس. لا يوجد أي احتمال لنا هنا. ولكن يوجد احتمال لذاك البيت في توكات. سأنتظرك في المساء أمام الجامع الذي على الساحل. إذا أتيتَ فسوف نذهب معاً.

المقابر

جاء فارتولو في الليل إلى المقابر، وكان يضع الحجارة حول قبر أمه ويقول:

- لم أستطع أن أفعل يا أمي. قالت لي سعادات أن أذهب معها ولم أستطع. قلت سأبني مقبرة لكِ ولم أفعل أيضاً.

جاء صوت ياماتش من الخلف يقول:

- ماذا تحاول أن تفعل؟

عندما سمع صوت ياماتش أخرج فارتولو سلاحه على الفور، واتجه ياماتش نحوه فأنزل فارتولو سلاحه وقال ياماتش:

- ماذا تفعل؟ قمتَ بتهريب عمي وباشا وعائشة وكاراجا.

- أنت لا تعرف شيئاً، لذلك لا تتدخل أبداً.

- أنتَ هرّبت زوجة أخي وابنته. كيف لا أتدخل؟

- إنني لم أفعل ذلك، هما أرادا الهروب. وقلت لأخلصهما.

- إذا قالت لك امرأة لنذهب فعليك أن تذهب معها يا فارتولو. إذا قالت المرأة هذا فإنها تعرف شيئاً ما.

- لكنك لم تذهب يا ياماتش.

- لم أستطع الذهاب. وضعي أنا مختلف.

بدأ فارتولو يضحك، وقال ياماتش:

- لا تضحك. إنني لم أستطع الذهاب لأنك

تهاجم وأنا أحمي. إذا توقفتَ عن الهجوم فسوف أذهب من هنا.

- ماذا قالت لك سعادات؟

- حكت لي كل شيء. هل يمكن التراجع عن أحلام جميلة كهذه؟

- نعم يمكن. لم ينته عملي هنا بعد.

- أنت وجدت حب طفولتك، وهي إنسانة طيبة وتحبك حتى الآن، وأنت تحبها، وهي تقول لك دعنا نذهب وأنت ترفض. هل يتراجع الإنسان عن أحلام كهذه؟

- إنني لم آتِ إلى هنا من أجل سعادات، ولن أذهب من أجلها. إنها قامت بتشويش رأسي فقط.

- أنتَ خفتَ يا فارتولو، قل الحقيقة. خفتَ من أن تصبح سعيداً.

بدأ المطر سريعاً وصار الوحل في كل مكان. قال فارتولو:

- دعك من هذا يا ياماتش.

- أنت لا تعرف شيئاً عن معنى العائلة، خفتَ من

أن تُشفى جراحك.

جُنّ جنون فارتولو وهجم على ياماتش وبدأ يضربه ويقول:

- قلت لك اسكت. من أين ستعرف أنت؟

نهض ياماتش من تحت فارتولو وصرخ:

- ستذهب من هنا. ستذهب من الحفرة.

- لن أذهب.

هجم ياماتش عليه هذه المرة وهو يقول:

- أتوسل إليك أن تذهب من هنا، إنني تعبت من هذه اللعبة.

- إنني جئتُ لأخذ حقي من هنا.

- لن تأخذ شيئاً.

- سآخذ. انظر، هذا قبر أمي، وليس عليه حتى شاهدة. جئتُ أنتقم من هؤلاء الذين تركوا قبر أمي بلا شاهدة. جئتُ لأخذ حقي. لا تتحدث إذن، أنت لا تعرف أي شيء.

- أعرف.

- قلت لك إنك لا تعرف شيئاً.

سقط كل منهما على الأرض وقال ياماتش:

- أعرف يا صالح، أعرف يا ابن أبي.

اندهش فارتولو كثيراً من معرفة ياماتش ولم يجد ما يقوله ثم قال:

- إذن فاعرف هذا أيضاً. إنني سآخذ الحفرة من بين أيديكم. وسأفعل ما يجب فعله. إذا لم تفعل أنت فسأفعل أنا. سأفعل كل شيء.

ملأ فارتولو يده بالوحل وألقاه على ياماتش قائلاً:

- لم يسألني أحد في حياتي: هل أنت بخير يا صالح؟ وأنا لن أسأل أحداً أيضاً. الحفرة من حقي.

وقف كل منهما بعد ذلك، ودون أن ينتبها ذهبا إلى قبر كهرمان وقال ياماتش:

- لن تأخذ الحفرة وأنا حي.

ثم أمسك ياماتش برأس فارتولو ووضعه على حجارة قبر كهرمان وقال:

- ما دام هذا القبر هنا فلن تأخذ الحفرة أبداً. يمكنك أن تأخذها غصباً ولكن لن يقول أحد إن الحفرة بيتنا وصالح والدنا. اذهب من هنا ستموت يا فارتولو.

- لن أذهب، إذا كنتَ ستقتلني فافعل.

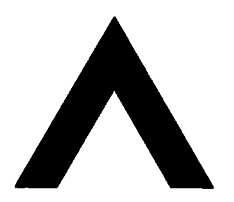
أخذ ياماتش حجراً ورفعه كأنه سيرميه عليه قائلاً:

- اذهب من هنا.

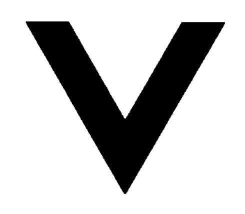
- اقتلني. لقد أقسمت أن أموت في الحفرة. وهذا آخر كلامي.

تبادلا النظرات ثم ألقى ياماتش الحجر بجوار فارتولو وقال:

- لا تقلق، ستموت أصلاً في الحفرة.



أنا سعد الدين فارتولو. جئت لآخذ العرش وهو حقي. أنا الملك وأنا ولي العهد. يوجد مقابل للوجع الذي عشته في حياتي، وجئتُ من أجل هذا. هل أنا السيئ في هذه الحكاية؟ ليكن. أنا أيضاً رأيتُ السيئين في حكايتي، وبعضهم صاروا أجداداً الآن. وهذا يعني أنك تعيش حتى لو كنتَ سيئاً. إذن لأكون أنا السيئ في هذه الحكاية، لأنني أريد حقي بلا زيادة أو نقصان. وإذا متّ فأنا أقبل هذا أيضاً، فقد متّ أصلاً منذ أن خرجت في هذا الطريق.



رسالة من صالح إلىساديش

وجدت سعادات ظرفاً في غرفتها، وعندما فتحته وجدت رسالة من صالح يقول فيها:

"ساديش..

إذا كنتِ تقرأين هذه الرسالة الآن فهذا يعني أنني رحلتُ. إنني أقرأ كتاباً لابننا في البيت الذي بين الأشجار، هل من الممكن أن تتذكريني هكذا دائماً؟ أنتِ لم تنسني أبداً وأعرف أنكِ لن تنسني. وإذا صار لديك ولد فلا تسميه صالح، حتى لا يشبه قدره قدري، ولكن إذا أعطيته هذه الهدية الصغيرة سأكون سعيداً. آه يا ساديش آه".

أخرجت سعادات سلسلة فارتولو من الظرف، وعلقتها على رقبتها وهي تبكي.

رحيل باشا

كان باشا وإدريس يمشيان في حديقة البيت، قال باشا:

- من يقوم بتقليم هذه الورود، لقد حان أوانها.

- سلطان.

- إذن قم أنت بذلك.

- قلّمها أنت.

- أنا لم أعد هنا.

- ألم نتحدث عن هذا الأمر يا باشا؟

- قلتَ لي ارحل. وكنت سأذهب ولكن حدث ما حدث. وأرسلت سلطان أيضاً.

- هل نبدأ من جديد؟

- لا، أنت قلتَ وأنا سأذهب.

قبل أن يرد إدريس قاطعه باشا:

- حاولت إبعادك عن ابنك لكنني لم أنجح. وقد أحرقت سلطان معي. سأجد لك ابنك وسآتي به وسأقول لك هل يستحق الأمر أن تطرد زوجتك. وأنت تقرر وقتها.

ابتعد إدريس عنه مسرعاً دون أن يرد.

المقابر

ذهب ياماتش مع إدريس نحو المقابر، وقال إدريس:

- أين قبر أخيك؟

- ألم تأتِ من قبل؟

- لم أتحمل المجيء. لم أجد وجهاً لزيارته، وقاتله ما زال في الحفرة. كم رأيت كهرمان في منامي وقال لي: "هل هذا وعدك يا أبي؟".

رأى إدريس قبر كهرمان وكاد أن يسقط على الأرض فأمسكه ياماتش وأجلسه بجوار القبر وبدأ يدعو لابنه ثم قال:

- انتهى كل شيء ولذلك جئتُ إلى هنا. هل تعرف متى يموت الابن بالنسبة لوالده؟

- لا أدري.

- كهرمان لم يمت ابداً بالنسبة لي. هل تعرف لماذا؟ بالأمس شممت رائحة رأسي أكشين وأجار. في كل منكم رائحة كهرمان، لذلك فهو لم يمت بالنسبة لي، بفضلكم. عندما أشم رائحتكم أتذكر رائحة كهرمان. ليأخذ الله من عمري لكم.

اقترب إدريس من ياماتش وقبّل رأسه وبدأ ياماتش يبكي في صمت.

ومن أين ستعرفون موتسارت؟

كان بعض رجال فارتولو يحرسون مزرعة على بعد خمسمائة متر من بيته، وفي هذه الأثناء اقتربت منهم سيارة جيب وبداخلها شخص يدعى إمره. كانت الموسيقى تأتي من سيارته بأعلى صوت ثم فتح شباك السيارة وقال:

- كيف أخرج للطريق الرئيسي؟ كأنني ضعتُ.

- لا نعرف.

- لا أسمع، هل من الممكن أن تتحدث بصوت أعلى؟

- قلنا لا نعرف.

نزل إمره من السيارة واقترب منهم وقال:

- لم أسمع.

أخرج أحدهم سلاحه فقال إمره:

- دقيقة واحدة، يبدو أن الموسيقى لم تعجبكم، سأغيرها حالاً.

قام إمره بفتح أغنية أخرى فغضبوا أكثر وقال أحدهم:

- قلنا لك اذهب من هنا.

غيّر إمره الموسيقى مرة أخرى وفتح مقطوعة روندو آلاتوركا لموتسارت ثم قال:

- هل تعرفون ما هذه الموسيقى؟ إنها روندو آلاتوركا لموتسارت.

بعد أن قال إمره ذلك عاد إلى سيارته، وأخرج على عجل قنابل من سيارته وألقاها عليهم، وانفجر الرجال دون أن يعرفوا السبب ثم قال إمره:

- الخطأ عندي أنا. أنتم جهلة فمن أين ستعرفون موتسارت.

ركب سيارته مرة أخرى وفتح الموسيقى بأعلى صوت وأكمل طريقه.

عندما رأى ياماتش السيارة الجيب الحمراء قادمة نزل واتجه نحوها، وقال:

- افتح هذا الشباك.

- هل تعرف من أنا؟

- هل أنت قاطع طريق؟

- والله قد عرفت بالفعل، برافو. انتظر دقيقة.

فتح إمره نفس المقطوعة لموتسارت وقال:

- هل تعرف هذه المقطوعة؟

- نعم، أعرفها. روندو آلاتوركا لموتسارت.

- أوووه، أخيراً. حسناً سأسألك عن شيء، إذا كنت تعرف هذه الموسيقى فما عملك في هذا الحي الذي يشبه جهنم؟

- من أنت؟

سأل إمره مساعده تكين:

- من أنا يا تكين؟

- أنت الضابط إمره.

- انظر الآن، هناك اتفاق بين من هم أكبر مني مع والدك. ولكن في الأصل كأن هذا الاتفاق غير موجود، لأن الشرطة لا تتفق مع أمثالكم. لكنكم بالغتم في الفترة الأخيرة وتجاوزتم حدودكم، لذلك وجب عليّ التدخل.

- ألستَ من الشرطة؟

- إنني لستُ من الشرطة فقط، إنني الضابط إمره.

- افعل ما تقدر على فعله.

بعد أن قال ياماتش ذلك، عاد إلى سيارته وكان يشاهده إمره ضاحكاً.

كابوس ثناء: إمره

كانت ثناء تجلس مع صديقتها دران في الكافيه ثم سُمع صوت غناء قادم من طاولة مجاورة لهما. ارتعدت ثناء وتذكرت الأغنية ونظرت إلى الطاولة فوجدت إمره ينظر إليها ثم خرج من الكافيه دون أن يتحدث معها. لم تفهم دران أي شيء، وسألت ثناء:

- من هذا يا ثناء؟

لم تعرف ماذا تقول، ولم تستطع أن تقول إن هذا هو كابوسها. قالت ثناء أخيراً:

- إنه أخي...

في مخفر الشرطة

قام الضابط إمره بالقبض على إدريس وكمال ومتين وبعض رجال الحفرة. وقد وضعهم جميعاً في زنزانة ووضع كمال في زنزانة بمفرده. ولأنهم كانوا

معتادين على حياة المخافر فلم يكن أحد منهم مضطرباً، حتى أن إدريس كان يقول:

- إنني لم آت إلى هنا من قبل يا متين، هل أتيتَ من قبل؟

- لا يا بابا، على الأرجح هذا المكان جديد.

- لكنه جميل.

قال كمال من الزنزانة المقابلة:

- يوجد سوء تفاهم يا بابا على الأرجح. سأتحدث معهم ليأتوا بك إلى هنا.

- لا، أنا من طلب منهم أن يضعوك في زنزانة بمفردك، لأن أخاك قال إنك تتحدث كثيراً عندما تشعر بالملل.

- هذا افتراء يا بابا.

قال متين:

- هل هذا كذب، ألم تورم رأسنا في المرة السابقة؟

- حرام عليك يا أخي.

ابتسم إدريس، وفي هذه الأثناء دخل إمره ومن

خلفه رجال من الواضح أنهم سرسريون. دخلوا إلى زنزانة كمال، فقال إدريس بجدية:

- أيها الضابط، ما هي مشكلتك معنا، هل يوجد أي دليل على اتهامنا؟

- تريد الدليل؟ يا لها من كلمة جميلة، ولكن لم نعد نسمعها، لا تستخدمها الأجيال الجديدة. سأسألك سؤالاً: هل تحب الموسيقى الكلاسيكية؟

- ماذا قلتَ؟

- حسناً حسناً، ابنك يستمع إليها من حين لآخر. ابنك ياماتش يبكي الآن في المقهى ويقول أين أبي.

- تحدث أيها الضابط تحدث، إنني أسمعك حتى الصباح.

- واي واي. إدريس بك يظن أن هنا مثل الأماكن التي يعرفها.

خرج رجال الشرطة خارج المخفر، وأشار إمره إلى الرجال الذين دخلوا زنزانة كمال فبدأوا بضربه، وبدأ كل من في الزنزانة المقابلة يمسكون القضبان الحديدية بأيديهم وهم يصرخون. قال متين:

- دعوا أخي.

قال إمره:

- كأنني أسمع صوت أحدهم. لا لا يوجد صوت.

نظر إدريس إلى إمره وقال بصوت مرتفع:

- يا أبنائي.

في هذه الأثناء تراجع رجال إدريس للخلف وتركوا القضبان. وطلب إدريس من كمال ألا يتشاجر مع من يضربونه ثم سقط كمال على الأرض، وقال إدريس:

- أيها الضابط، إن الضرب عندنا يشبه حليب الأم، نُضرب ولكن يمر الزمان ونضرب أيضاً.

- هل تهددني؟

- هذا كل شيء عندي.

أدار إدريس ظهره لإمره وفعل رجاله مثله. قال إمره:

- جيد جيد. إنني أحببتُ هذا الحيّ كثيراً. سنستمتع للغاية.

نظر إمره إلى الرجال الذين يضربون كمال

فتوقفوا ثم دخل رجل من الشرطة وأخرج هؤلاء الرجال فنادى إدريس على كمال الذي ردّ عليه قائلاً:

- إنني بخير يا إدريس بابا. لا يوجد شيء في وجهي وهذا يكفيني.

كان متين بلا حيلة، لكنه أراد مواساة أخيه فقال:

- انظروا إلى هذا. لقد خرج مخه من أذنيه وما زال يهتم بوجهه. خذوني إليه لأضربه أنا أيضاً.

ذهب القلق حتى لو قليلاً وبدأوا يضحكون معاً.

كان ياماتش وعمي وسليم ينتظرون أمام المخفر ثم خرج إمره ومساعده تكين، واقتربا من ياماتش وقال إمره:

- كيف حالك؟

- بخير أيها الضابط، وأنت كيف حالك؟

نظر سليم إلى إمره وكانت المرة الأولى التي يراه فيها فقال إمره:

- أوووه، سليم بك. إنني الضابط إمره. حسناً لقد تعرفت عليكم جميعاً الآن، لم يبق إلا

جمعالي. وهو أصلاً لدينا. أعرف أنك على حق يا ياماتش، فلم يقرأ لك أبوك قصة ولم تستطع النوم براحة، لكنه سيكون ضيفنا هذه الليلة. تعال في الصباح.

- إنني لم آت من أجله أصلاً. جئت من أجلك.

- كنتُ أعرف أنك ستفتقدني. إنني رجل مسلٍ.

- أنت لا تعرف إسطنبول، لقد جئت إليها حديثاً. لو أخبرتني كنت أخذتك إلى أماكن جميلة كالسلطان أحمد. لم يكن هناك ضرورة لما حدث.

- ليكن. أنا أحب اكتشاف الأماكن وحدي.

- حسناً أنت أدرى.

انصرف ياماتش وقال إمره:

- ياماتش إنني ضابط، هل تعرف هذا؟

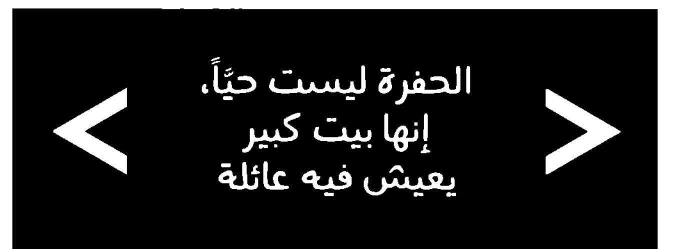
- لستَ ضابطاً فقط، إنك الضابط إمره. تليفوني مفتوح لا تنسى ذلك.

في اليوم التالي خرج من المخفر ياماتش وسليم وإمره، وكان عمي في الخارج ينظر إلى إمره بغضب. كان أمام المخفر زحاماً كبيراً، وفي هذه الأثناء كان

رجال فوق موتوسكلات يُلقون حقائب وأكياس للنقود على الأرض ويذهبون. التفت ياماتش إلى إمره وقال:

- ظننتَ أن الحفرة ستنتهي بالقبض على كوتشوفالي. إنك لم تفهمنا، أنت تظن أن الحفرة مجرد حي. الحفرة ليس حياً إنها بيت، وبداخله تعيش عائلة. نعم إننا عائلة مجنونة قليلاً لكننا عائلة. حسناً، لن أستطيع أن أمسك نفسي أكثر من ذلك. هيّا لنذهب فسوف يصير زحام هنا بعد قليل.

مشي ياماتش دون النظر خلفه، ومن حوله عمي وسليم. غضب إمره هذه المرة كثيراً، ودخل مسرعاً إلى المخفر واتصل بثناء.



بايكال وإمره

التقى بايكال وإمره عند حافة البحر، وقال إمره:

- أبي.

فتح بايكال ذراعيه وتعانقا وقال بايكال:

- أهلا بك يا بني.

- كيف حالك؟

- كيف سأكون، لقد كبرت كما ترى.

- أنتَ أكثر شباباً من الجميع يا أبي.

كان بايكال يُظهر لإمره الحب الذي لم يظهره لناظم. قال بايكال:

- دعك مني، كيف مر يومك الأول؟

- كان يوماً جميلاً. مساعد المدير عاتبني، وهكذا أنهيت يومي ولم أستطع أن أرد. لقد أخرجوا إدريس ورجاله. إنني جئت إلى هنا لفعل ما تريده أنت يا أبي، وإلا فأنا لا أريد البقاء في إسطنبول، وما دخلي أنا بالحفرة وما شابه.

- إنني سأحل كل شيء. توقف أنت الآن. إن هؤلاء يظنون أن في إسطنبول دولة تخصهم وحدهم. إنهم يتعاملون براحة تامة. يكفي أن نفرّق بينهم الآن.

- حسناً فهمت.

- إنك لم تعد معي منذ أن كنتَ في السابعة، ولكن نبدو وكأننا لم نفترق يوماً واحداً. أنا لم أقم بتربيتك، ولكنك ابني الذي أفخر به.

قبّل بايكال ابنه وأكمل كلامه:

- هل تعرف لماذا أريد الحفرة؟ كي أهديها لك. اذهب وخذ هديتك.

في الأساس لم يكن إمره وناظم مهمين بالنسبة لبايكال. كان بايكال لديه عقدة من عائلة كوتشوفالي، لذلك يستخدم ولديه كالدّمى. لديه ابن واحد يحبه، لكنه يخفيه عن الجميع. ولأنه لم يعد قادراً على استخدام فارتولو وسليم لجأ إلى ولديه إمره وناظم، وخصوصاً إمره لأنه في الشرطة ولا يستطيع أحد أن يمسه، لكنه قادر على إيذاء الجميع.

قرار ياماتش الصعب

اتخذ ياماتش أكثر القرارات صعوبة في حياته. في البداية كان كل شيء واضح؛ أحدهم قتل كهرمان، وياماتش سينتقم منه، لكن الأسرار كُشفت وفُهم أن فارتولو ابن أبيه قتل كهرمان وكان يمكنه أن يقتله لكنه لم يقدر على ذلك. ليس لأنه ابن أبيه، فهو لا يقدر على قتل أحد أصلاً.

كان ياماتش وجلاسون ومكا في الحديقة الخلفية لبيت فارتولو. وكان جلاسون ومكا يتناقشان بحدة وكأنهما سيتشاجران ثم تعانقا وقال ياماتش:

- لا يظن أحدكما أنني لم أسمع عن شجاركما. سأحاسبكما ولكن ليس الآن. ابق أنت في الحي يا مكا. عندما نهاجم قم بتهريب فارتولو من الخلف.

لقد متّ يا فارتولو

جلس مكا فوق الكرسي وهو ينظر إلى فارتولو الذي يظن الجميع أنه مات. كان يجلس في الظلام وبدأ يعود إلى وعيه تدريجياً. قال فارتولو:

- من ضربني يا هذا؟ لقد جُرح رأسي.

- هل عدتَ إلى وعيك يا فارتولو؟

- هلَ أنت من الذين يقولون عنهم زبانية؟

- هنا ليس جهنم يا فارتولو، هنا الحفرة.

- منْ ضرب رأسي يا هذا؟

- ماذا تتذكر آخر شيء؟

- كنا نطلق الرصاص أنا وجلاسون ومدد. هل يعيشان؟

- مثل الخنازير ويبكيان عليك.

- لماذا؟

- يظنان أنك متّ.

كان فارتولو محني الرأس ويرفع شعره الذي يتساقط على جبينه وهو يتحدث:

- كم هي غرفة سيئة. لا يوجد كريم للشعر أو أي شيء. أحضر لي ليمون على الأقل.

- وماذا ستفعل به؟

- سأدهن به شعري. نحن أيضاً لدينا صورتنا

التي يجب ألا تهتز.

- ابصق في يدك ثم ادهن شعرك يا فارتولو.

- كن شخصاً حضارياً. لماذا أتحدث مع العاملين؟ أحضر لي مديرك.

دخل ياماتش وأرسل مكا ثم نظر فارتولو إلى ياماتش بجدية وهو يقترب من القضبان ويقول:

- لقد تسببت في قتل رجل بريء من أجل إنقاذك يا فارتولو. هل لديك علم بذلك؟

- هل أنا الذي قتل؟ لماذا تخبرني بذلك.

- نعم أنت لم تقتل، ولكن من قتله هل تعرف؟ إنه السيد بايكال. صديقك الذي أراد قتلك. كم فعل بك هذا الشخص الذي تثق فيه. لقد أرسل خمسة رجال أطلقوا الرصاص على سيارتك ولم يكتفوا بذلك حيث ألقوا القنابل داخل السيارة. لقد مات الرجل المسكين بدلاً منك. منذ أن أتيت إلى الحفرة تُقام جنازة كل أسبوع، ولكنك لا تهتم بذلك.

- هذا يعني أنني قد متّ.

- نعم وقاموا بدفنك. رحمك الله.

- حسناً، وهل والدك يعرف؟

- هو يعرف أن الذي قتل ابنه هو الذي مات. لذلك ارتاح قليلاً.

- على الأقل أخرجوني إلى الشمس من وقت لآخر حتى لا أذبل هنا. هل سأظل هنا حتى الموت؟ ليتك قتلتني.

- اخرس يا صالح.

- أنت لا تعرف أيضاً ماذا ستفعل بي.

- نعم لا أعرف، هل ارتحت الآن؟

- حسناً لماذا فعلتَ هذا؟ لقد قلت لك إنني جاهز للموت.

- لم أفعل من أجلك، ولكن من أجل أبي.
- وهل يهتم أبوك بي. هل يعرف من هو صالح؟
لم يرد ياماتش، وبهذا يكون قد ردّ بالفعل. اندهش فارتولو وجلس على الكرسي وقال:
- هل أخبره قاسم؟

- كتب له رسالة. ولم يتوقف منذ أن قرأ الرسالة. يعرف أن لمهريبان ولد اسمه صالح، وطردته أمي من البيت وأخفى باشا هذا عن أبي، وكاد باشا أن يطلق الرصاص على نفسه وأنا منعته.

- كان كل شيء كان سينتهي. كنت سأقتل عمي وباشا وأنت ستقتلني. لقد قمت بحل كل شيء، برافو عليك. انظر إلى حالنا الآن.

- فعلت هذا من أجل أبي. حتى لا يموت له ولد آخر.

- كم أنت إنسان بحق. أي نوع من البشر أنت يا ياماتش!

- لو كنتُ أعرف...

لم يقل ياماتش شيئاً آخر وانصرف وبعد قليل جاء عمي وقال فارتولو بعد أن رآه:

- ألا يوجد شخص آخر؟ لا أريدك أنت. قل لياماتش أن يرسل شخصاً آخر.

غضب عمي كثيراً لكنه حاول أن يهدأ وقال:

- مكا لا يعرف من أنت، لكنني أعرف فكن مرتاحاً.

- ومن أنا؟

- صالح.

- هل تتذكر أمي؟

- قليلاً فقد مر وقت طويل.

- الذي أرسلني من الحفرة ليس أنت، أليس كذلك؟

- لم أكن أعرف حتى بميلادك.

- باشا باشا. انتظرني.

- لا تذكر اسم أخي على لسانك يا هذا وإلا قتلتك.

- لكنني عندما كنت أضربك لم يخرج صوتك هكذا يا عمي.

- فهمت الآن. أنت ضربتنا لهذا السبب.

- لا، كنت أقوم برياضة قليلاً. أوف يا عمي. كنت سأقتل الوزير السيئ، إما أنت أو عمي.

- ماذا حدث لك حتى تغضب هكذا؟

- لن أحكي لك، سأحكي مع إدريس.

- إدريس لن يأتي إلى هنا، لأنك متّ يا فارتولو.

- أتعرف ما يقوله الفيلسوف الشهير؟ يقول reven yas reven

اندهش عمي وقال:

- هل تعرف الإنجليزية يا هذا؟

نظر فارتولو إلى عمي ثم نظر إلى الناحية الأخرى وكأنه رأى نفسه عندما كان يُدعى صالح قبل أن يصير سعد الدين فارتولو.

ردّ فارتولو على عمي ولكن بطريقة صالح:

- بالتأكيد أعرف الإنجليزية، علمتُ نفسي بنفسي.

ثم ردّ فارتولو على صالح وكأنه حوار بين شخصين:

- برافو عليك، ولكن ماذا استفدتَ من هذا؟ هل استطعتَ أن تتحدث ولو لمرة واحدة؟

قال صالح:

- أنتَ ميت لكنك ما زلت متحذلقاً.

- إنني لا أموت بسهولة، لأنني لم آتي إلى هذه الأيام بسهولة.

- أي أيام؟ انظر حولك، هل هي أيام جميلة؟ انظر إلى القضبان الحديدية.

- هذا وضع مؤقت، سأجد طريقاً للخروج من هنا. لماذا، هل تعرف؟ لأن فارتولو يجد

الطريق دائماً.

- لنقل إنك خرجتَ، فماذا سوف تفعل مع والدك؟

- إنه ليس والدي. إنه والدك أنت.

- حسناً. ولكن ماذا ستفعل وأنت تتحدث معه؟ هل تظن أن يقول أهلا يا بني، لقد بحثتُ عنك كثيراً؟ ما حكته أمك كان خيالاً وليس حقيقة.

- لا تتحدث عن أمي.

- حسناً، ولكن سأسألك سؤالاً: أين ترى نفسك بعد عشر سنوات أو حتى بعد شهر؟

- هنا، في الحفرة.

- وماذا تفعل في الحفرة؟ هل تصنع المخدرات أم ستقوم بفتح مقهى، ومن سوف يأتي إليها؟ كل الرجال سيتركونك. سيبقى مدد فقط بجوارك.

- حسناً، وأنا سأسألك سؤالاً: مثلاً لو أخذتَ سعادات وذهبتما إلى توكات، فماذا ستفعل؟ هل ستكون معلماً؟ أنت لا تعرف شيئاً فماذا ستعلم الطلاب؟ هل ستشاهد المسلسل بعد

العودة إلى المنزل؟ أنت لا تستطيع حتى أن تشتم وأنت بجوار سعادات. هل ستجلس في البيت هكذا؟ انظر إلى ثيابك. ماذا تعرف أنت عن الحياة؟ ستستيقظ صباحاً وتفطر ثم تذهب إلى العمل وبعد أن تعود ستتناول طعامك وتعتني بأطفالك وتقبّل سعادات وتنام. ستكون كل أيامك هكذا. أنت لا تقدر على تحمل هذا. انظر إلى عينيك، إنها مثل عيني تماماً.

لم يرد صالح عليه ثم قال فارتولو:

- هيّا يا عزيزي، اذهب واستمر في عملك كمعلم للغة التركية.

في هذه الأثناء يختفي صالح، وكان عمي ينتظر حتى الآن جواباً من فارتولو الذي ضحك وقال:

- من أين سأعرف الإنجليزية؟

في مستشفى الحفرة

دخل إدريس غرفة المستشفى وكان باشا وعمي يتحدثان معاً فقال لهما:

- سلامتك يا باشا. لقد أخفتَ الجميع عليك.

- لا إنهم يبالغون. سوف أخرج غداً.

قال عمي:

- لقد عاد من الموت، هكذا قال الأطباء.

رد إدريس:

- حسناً، هذا ليس مكاناً مجهولاً بالنسبة له، لقد عاد من الموت أكثر من مرة من قبل.

نظر باشا إلى عمي ففهم وقال:

- سأخرج قليلاً.

خرج عمي وقال إدريس لباشا:

- كيف حالك؟

- متعب لكنني بخير.

- قلتَ لي إن لديك مشكلة في الضغط لكنني لم أصدق.

- ليس الضغط أو ما شابه، قلت ذلك لأهرب منك، ولكن انظر لم أستفد شيئاً.

- رميتَ نفسك من السيارة، فهل كان الأمر يستحق؟

- لا. الأمور الحساسة صعبة يا إدريس. كنتُ شاباً في ذاك الوقت، وأردت أن أحمي العائلة. فعلتُ ما رأيته صواباً. ولكن إذا نظرتَ الآن ستجد أنني لم أفعل الصواب. لو أعرفت ما سيحدث اليوم لما فعلتُ هذا.

- قل يا باشا بشكل مباشر ما تريد قوله.

- لماذا أُصبتُ بأزمة قلبية، هل تعرف؟ قلتُ لك إنني سأجد ابنك لكنني لم أفعل. وجاء قاسم إليّ بالأمس، قاسم الذي قتل مهريبان، وقال لي من هو ابنك. وعندما عرفتُ من هو أُصبت بأزمة قلبية.

- هل ستقول من هو يا باشا؟

- أخاف أن يحدث لك شيء يا إدريس.

- وما شأنك أنت؟ هل أنت أمي أو زوجتي؟ تحدث.

- سعد الدين.

لم يفهم إدريس، وظنَّ أن باشا قد فتح موضوعاً آخر وقال:

- ماذا حدث لفارتولو، لقد مات يا باشا؟ هل ذهب عقلك مع قلبك؟

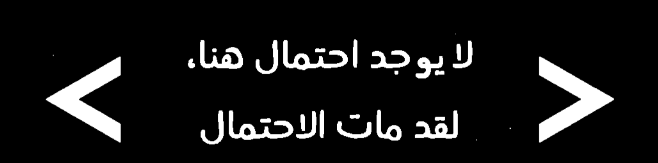
- قتل قاسم مهريبان، وأنا أرسلت ابنك إلى عائلة مهريبان. ابنك هو صالح ولكن صار سعد الدين فارتولو بعد أن عاش معاناة كبيرة. ابنك هو سعد الدين فارتولو.

ارتجف إدريس وكأنه تكهرب ثم عاد خطوات للخلف وقال باشا:

- ساعده يا عمي.

استجمع إدريس قواه واتجه نحو الباب فقال باشا:

- إلى أين يا إدريس؟



قتلتني يا صالح

خرج إدريس من المستشفى وذهب إلى عليشو ثم اتجها معاً نحو المقابر. بدأ إدريس في البكاء عندما رأى قبر كهرمان، وقال:

- ولدي كهرمان. ماذا فعلتُ لك. ليتني كنتُ مكانك الآن. سامحني يا ولدي. كل شيء حدث بسببي. ليتني متّ بدلاً منك.

كان عليشو يقف بجواره ويبكي أيضاً ويقول:

- حزن بابا كثيراً.

ثم عانق عليشو إدريس وقال:

- لا تبك يا بابا.

استمر إدريس في البكاء وهو يقول:

- أنتَ قتلتني يا صالح.

أنت من جعلني فارتولو يا إدريس بك

وقف فارتولو ببطء وكان إدريس يتجه نحوه حتى وصل إلى القضبان الحديدية، وبعد أن رآه فارتولو

تراجع قليلاً. طلب إدريس من عمي أن يفتتح له الباب ثم دخل بجوار فارتولو وقال:

- إلى أي وضع جئتَ بنا يا صالح؟

كانت هذه الجملة تعني بالنسبة لفارتولو أن إدريس يعترف به كابن من أبنائه، مهما حدث. لم يرد فارتولو الذي أحنى رأسه وقال إدريس:

- كنتَ ستأتي وتقول لي إنك ابني. ولكن انظر ماذا فعلتَ بنا.

- من قال لك؟

- باشا.

- لماذا قتلتَ كهرمان، ماذا فعل ابني لك؟

- لم أكن أعرف أن هذا سيحدث. لم أتخيل أننا سنجلس هكذا وجهاً لوجه.

- قلتَ إنك ستأخذ الحفرة بأي طريقة، وقلتَ إنك ستموت إذا لم تأخذها، وأرسلت رجلاً ليقتلني في المستشفى.

- نعم، فعلت هذا.

- قتلت ابني ولم يكفيك، هل كنت ستقتلني أنا أيضاً؟

غضب إدريس كثيراً وأكمل:

- لماذا كل هذا، ماذا فعلتُ لك؟

- هل تسأل حتى الآن يا إدريس بك؟ أنتَ من جعلتني فارتولو يا إدريس بك.

- ألم تكن تنتظر هذا اليوم؟ هيّا قل لي كل شيء.

- ماذا أقول لك؟

- قل لي كل شيء، ها أنت لم تمت.

جلس صالح ونظر إلى إدريس قائلاً:

- أرسلوني إلى جدي وأحبني كثيراً لدرجة أنه كان يجعلني أنظف البيت وأعد له القهوة وأنا في الثامنة. كنت أقول لنفسي: لا تحبني بهذا القدر يا جدي، وإلا سأموت. وضع جدي بطانية على الأرض كنت أنام عليها، ودعوت الله في ليلة ما وقلت: إما أن تأخذني أو تأخذ جدي. لم أكن أعرف أن الله يقبل دعاء الأطفال. استيقظت وكان جدي ميتاً ثم ساء كل شيء بعد ذلك. كانت أمي تقول إن أبي سوف يجدني ويأخذني لبيته، وانتظرت قدوم أبي دائماً لكنه لم يأت. جاء آخرون وخفت كثيراً منهم وهربتُ. كنت وحيداً في الشوارع،

وفي الشوارع يوجد وحوش وخصوصاً في الليل. لقد متُّ كثيراً، وهربت من المدينة والناس. تعلمت أن الحيوانات لديها رحمة. كنت أهرب من الجميع واختبأت في إحدى المغارات ولم تكن أنت بجواري. هل أقول لك أكثر من ذلك؟

لم يرد إدريس الذي كان يبكي وهو يسمع حكاية فارتولو، وكان يهز رأسه بمعنى الموافقة على كلامه ثم قال صالح:

- جئتُ إلى بيت لا أعرف صاحبه، وكنت في الثالثة عشر. كنا نقوم بعمليات التهريب وجعلوني أنام مع الحمير. كنت أعد الطعام لكن تناول الطعام كان ممنوعاً، وأنا من يغسل الأطباق. كان هناك شخص يدعى عبد اللّه بابا وكان هو صاحب البيت. كنا عشرين شخصاً تقريباً. أثناء الذهاب إلى التهريب كان يرسلني في الأمام مع حمار وكانت الألغام ستنفجر فينا أكثر من مرة. وذات يوم انفجرت بالفعل، وحملوني بسرعة، ولكن ليس من أجلي، ولكن لكي لا أحكي ما حدث لجندرمة الحدود. قالوا لي إذا كنتَ ستموت فمُت بالبيت. وقام الدكتور البيطري الذي يعالج الحمير بمعالجتي ولم أمت. كنت أرى أمي في

منامي دائماً وهي تقول لي تحمَّل ثم تعافيت وعدت إلى نفس العمل ولم يتغير أي شيء. كان اسمي صالح على اسم جدي، ولكن جدي قال إن اسمي لا يصلح لشخص مجهول الأب مثلي وسمَّاني سعد الدين. فكرتُ يوماً ما في أن صالح لم يفعل لي أي شيء، وقبلت اسم سعد الدين وقررت أن أنتقم من الجميع. مات صالح وسعد الدين فارتولو سوف يأخذ بثأره.

- وقد انتقمتَ بالفعل.

- تحملتُ حتى صرت في السابعة عشر ثم بدأت أحمل السلاح سراً وذهبت إلى بيت المهربين وقتلتُ كل من في البيت. انتقمت من الجميع.

- يعني بقيت أنا فقط.

- أنتَ ملك الحفرة، وجعلتك في آخر القائمة. أنتَ ألقيتَ بي بين الوحوش. ومرت طفولتي مع البكاء، وكنت أفكر دائماً فيما فعلتُه في أبي حتى يتركني هكذا. لماذا تركتني يا أبي، ماذا فعلتُ لك؟

- لم أكن أعرف أنك موجود.

- كم هي لعبة جميلة. هل ستحملني كل شيء وتهرب يا إدريس بك؟ إنني لا أصدق ألاعيبك.

اسمي سعد الدين فارتولو. وفعلت ما يجب فعله.

نظر فارتولو نحو إدريس وكان يحاول الهروب من كلام إدريس لكنه بدأ يصدق كلام إدريس وسقط على ركبتيه قائلاً:

- ألم تكن تعرف بوجودي؟

قال إدريس بصدق دون أن يرفع رأسه:

- كنا نخرج للبارات ونحن في الشباب ومعنا نقود، وصار لي حبيبة وكانت تقول لي: "لقد أحببتُك كثيراً فلماذا لم تحبني؟". دخلت السجن بعد ذلك وبقيت لسنوات وبعد خروجي سمعت أنها ماتت. بعد ثلاثين عاماً قالوا لي: "اسم حبيبتك السابقة مهريبان ولديك منها ولد يدعى صالح، وأرسلناه بعد موت أمه". إلى أين أرسلوه وماذا حدث له، لا أحد يعرف. إنني لا أترك ابني. مثلاً، جمعالي في السجن منذ عشر سنوات وأنا أعرف ماذا يفعل كل يوم. وأكين ابن سليم في السجن أيضاً، ومصاب بالربو لكنه لا يخبر أحداً ولا يستخدم العلاج. يعني إنني لا أترك أبنائي وأحفادي. لو كنتُ أعرف بوجودك لما عشتَ كل هذه الأشياء، ولصرتَ معي ولما قتلتَ كهرمان.

قلتَ إنني ملك الحفرة، وكأنك صدقت كلام أمك. إنني لست ملكاً أو ما شابه. إنني والد الحفرة وليس لدي عرش أو ما شابه، لدي طاولة عادية في المقهى. يمكن لأي شخص أن يكون ملكاً ولكن من الصعب أن يصبح أباً. إذا قلتَ إنك تريد أن تصبح ملكاً في الحفرة فأنا سأمنع هذا. إما أن أموت أنا أو تموت أنت. انظر إليّ، إذا أردتَ أن تكون والداً للحفرة فحاول وسوف ترى.

نظر فارتولو إلى إدريس متعجباً ولاحظ إدريس حماسه وقال:

- انظر، لقد وقعتَ في أول خطأ، وظننتَ أن الأمر سهل. انظر إلى ياماتش، مر على مجيئه عدة أشهر وقد شاب وقال لي إن على كتفيه حمل كبير. صحيح ما يقول فالأمر ليس سهلاً، وخصوصاً إذا كنتَ وحدك ولم تكن مع الشيطان.

- حسناً، وإذا قمتُ بإنهاء الشيطان تماماً؟

- لا أحب هذه الطريقة التي تستخدم "إذا" كثيراً. واعرف أنني لست الحكم، يجب أن يقبلك أهل الحفرة، لكنك كنتَ مع الشيطان دائماً. وأنا مع ياماتش دائماً لأنه أنقذنا. اذهب الآن

من الحفرة، وعد في العيد لتقبل يدي وربما أمسح على شعرك، وربما نشرب العرق معاً بعد ذلك. لا أدري ولكن ربما. ولكن إذا قلتَ سأبقى في الحفرة، فسأكون مع ياماتش ولن أقول لك يا ابني. ربما تصبح والد الحفرة، لكنك لن تصبح ولدي أبداً. القرار لديك.

أغلق إدريس الباب وانصرف وبقي فارتولو هكذا بلا حركة وهو يفكر في الخيارين. من ناحية يفكر في الانتقام من إدريس، ومن ناحية أخرى يفكر في نسيان الانتقام وأن يصبح ابناً لإدريس.

بعد قليل خرج فارتولو وحيداً ولأنه كان في مكان مغلق لعدة أيام لم تتحمل عيناه الضوء فور خروجه فوقف دقيقة عند الباب ثم خرج.

ذهب فارتولو إلى المقابر فوجد أنهم شيدوا مقبرة كبيرة لأمه ووضعوا عليها الزهور. قال لنفسه: آه يا ياماتش.

وضع فارتولو الزهور التي أحضرها على قبر أمه ثم رأى قبره وقد وضع عليه الكثير من الزهور فوقف أمامه وابتسم ابتسامة موجعة ثم عاد إلى بيته. لم يصدق مدد عندما رأى فارتولو، ودخل في صدمة كبيرة وحاول فارتولو أن يعيده إلى وعيه قائلاً:

- ماذا قلتُ لك عندما رأيتك لأول مرة يا مدد؟

أجاب مدد بصعوبة:

- قلتَ لي: لا تخف يا أخي، سوف أنقذك من هنا. اسمي سعد الدين فارتولو.

- حسناً، وماذا فعلنا عندما ربحنا مليوني ليرة؟

- لا أستطيع القول هنا يا أخي، ولكن كانت أياماً جميلة.

- حسناً، وماذا قلت لك ونحن في السفينة؟

- صرختَ وقلتَ أنا سعد الدين فارتولو.

حل الصمت قليلاً وتبادلا النظرات وفكرا في أشياء مرّا بها معاً ثم قال فارتولو:

- من أنا يا مدد؟

- بالنسبة لي أنت سعد الدين فارتولو يا أخي، ولكن من أجل الآخرين لا أدري ولا يعنيني يا أخي.

تعانقا ثم قال مدد:

- سأطلب منك طلباً يا أخي. قل لي كل شيء.. كل شيء.

لم يرد فارتولو وتبادلا النظرات مرة أخرى.

سار جلاسون نحو الحفرة، والتقى بياماتش الذي كان في سيارته ثم ألقى بنفسه أمام سيارته وتوقف ياماتش ونزل من السيارة وقال له:

- ماذا تفعل يا هذا؟

- عاد فارتولو إلى بيته. عفواً، لقد عاد ابن إدريس بابا إلى بيته، هل لديك خبر؟

- سنتحدث لاحقاً يا جلاسون.

- ماذا يعني لاحقاً يا أخي؟

أثناء عودة ياماتش لسيارته أمسك جلاسون به وأخرج مطواة من جيبه ووضعها على رقبة ياماتش الذي لم يقل شيئاً ثم قال جلاسون:

- ماذا قلتَ لي؟ قلتَ سننتقم، لكننا أنقذنا فارتولو من الموت وسألتك عن السبب ولم تجبني. كنتَ تعرف أنكم إخوة. بعد يومين إذا تزوج ستكون شاهداً على زواجه، ولكن ماذا أفعل أنا؟ لقد قتل أبي. يجب أن أنتقم منه يا ياماتش أفندي.

- هيّا اضغط على المطواة يا جلاسون، فأنا قد

مـتّ أصـلاً. لينتـه كل شـيء. لقـد كنـت أعـزف وأغنـي فقـط يـا هـذا، والآن صـارت الجثـث أمامـي كل يـوم، ولا يضيـع أثـر الـدم مـن يـدي. هيّا، اقتل ولينته هذا العذاب.

عـاد جلاسـون إلـى الخلـف وأكمـل طريقـه دون أن يتحـدث، ولـم يقـل ياماتـش شـيئاً وركـب سـيارته وعـاد إلى البيت.

لا نجمع الأموال لكننا نجمع الرجال

اجتمعـت عائلـة كوتشـوفالي فـي المقهـى، وقـال إدريس:

- تعرفـون المسـألة يـا أولادي وسـمع الجميـع. لا تفكـروا فيمـا سـنفعل، فلـن يتغيـر شـيء. أنتـم ستحمون الحـيّ ولـن تغفـروا لفارتولـو إذا تسـبب في ضرر لهذا الحي. قال كمال:

- وإذا لم يفعل شيء؟

- أنتـم لـن تفعلـوا شـيئاً أيضـاً. لقـد حميـت هـذا الحـي لكننـي لـم أُحضـر أحـداً إلـى هنـا بالقـوة. ولـم أجعـل أحـداً يصيـر معـي بالقـوة. هـل أنتـم معي بالقوة، وهل يفعل ياماتش هذا معكم؟

قال كل من المقهى:

- أستغفر الله يا بابا.

أكمل إدريس:

- قلتُ لأبنائي دائماً إننا لا نجمع الأموال لكننا نجمع الرجال.

بعد أن قال هذا، خرج إدريس من المقهى، واصطدم به جلاسون الخارج من دكان الحلاق ثم قال لإدريس:

- السلام عليكم.

- هل جئتَ إلى عمر لإلقاء السلام؟

- في المرة السابقة قلتَ إننا سننتقكم من فارتولو، فماذا حدث؟

قال عمي:

- كن مؤدباً يا جلاسون.

رد إدريس:

- ماذا تقول يا جلاسون؟

- اسأل ابنك، أي واحد منهم كما تشاء.

اقترب إدريس منه وقال:

- من أنت يا هذا، كيف تتحدث معي هكذا؟

- أنا جلاسون. انظر لقد مات أبي هنا. ابنك قتله. وأنا عملتُ معه لكي أنتقم منه. لقد صبرت وانتظرت ولكن بقي دمي على الأرض يا إدريس بابا.

لم يرد إدريس، وانصرف جلاسون ثم قال عمي:

- إنه ما زال شاباً يا إدريس ولا يعرف ما يقول.

- إنه يعرف ما يقول جيداً يا عمي. الولد محق.

ياماتش وفارتولو في مواجهة بايكال

سمع ياماتش عن وفاة الفتاة الصحافية وتأثر كثيراً بهذا الخبر ثم ذهب إلى البار وبدأ يعزف الجيتار ويغني وبعد انتهاء الأغنية قال فارتولو:

- برافو برافو.

عندما لاحظ ياماتش وجود فارتولو قال:

- ماذا تريد؟

- لا أريد شيئاً، الجميع قلق عليك في الحفرة

ويبحثون عنك في كل مكان. سمعت خبر وفاة الصحافية، ليرحمها الله. في قبري ينام الشخص الذي قُتل بدلاً مني، أليس كذلك؟

- قل ما ستقول ثم اذهب.

- يا ابن أبي. أنت رجل طيب ورحيم. ليس لديك أي ذنب في هذه الأحداث. أنا السيئ في هذه الحكاية.

- هل أنهيت كلامك؟ هيّا انصرف.

- لم أنه كلامي. ألستَ أنت الجيد وأنا السيئ، ولكن لا تنس أن بداخلي جانب جيد أيضاً. لقد حزنت على الصحافية وعلى الرجل الذي مات بدلاً مني. وأنت بداخلك جانب سيئ أيضاً، يظهر عندما يؤذي أحدهم أحبابك.

- هيّا قل ما تريد.

- حان وقت القضاء على بايكال. وأنا أرى أن نحل هذا الأمر معاً ثم يرجع كل شخص لما هو عليه، فما رأيك؟

لم يرد ياماتش.

الرجل الذي يسمونه السيد

التقى بايكال وياماتش في إحدى الليالي بالميناء،

وكان بايكال ينظر إليه ويبتسم وبعد اقتراب ياماتش منه ذهبت البسمة من وجهه. قال ياماتش:

- سأسألك سؤالاً، كنتُ قد سألتك من قبل عن شخص عديم الشرف يقولون عنه السيد، ولم ترد عليّ. فإذا جاء شخص أمامي وقالي لي عديم الشرف كنت سأجنّ، فكيف تحملت هذا؟

لم يرد بايكال ونظر إلى الطرف الذي يختبئ فيه ناظم، وفهم ياماتش أن شيئاً يحدث وفي نفس اللحظة بدأ الطرفان بإطلاق الرصاص.

في مستشفى الحفرة

هرب ناظم من المواجهة في اللحظة الأخيرة، وذهب إلى جوار سليم في المستشفى. واختبأ داخل بدروم المستشفى خائفاً ينتظر سليم. جاء سليم وقال:

- أين أنت يا ناظم، ماذا يحدث؟

- حاول بايكال بك أن يقتل ياماتش، لكن ياماتش أعطانا درساً جميعاً.

- وما دخلك أنت؟

- كان يجب عليّ أن أتدخل. هل من الممكن أن تساعدني؟ ياماتش يبحث عني الآن، لذلك فكرت أن آتي إليك لأنه لن يخطر على باله هذا المكان، فهل من الممكن أن تساعدني؟

- وهل حدث شيء لبايكال؟

- إنه بخير، لم يتعرض لأي شيء.

- هل تركك بين الرصاص وهرب؟

خجل ناظم وقال:

- نعم، هرب وتركني وحدي. كدت أموت ولم يهتم بالأمر.

- إذا أهلاً بك بيننا يا ناظم. يوماً ما سيخدع بايكال كل واحد منا.

- هل من الممكن أن تساعدني؟

- ماذا تريد، هل تريد أن أرسلك خارج البلاد؟

- لا.

- هل تريد أن تعود إلى بايكال؟

- وهل لدي حل آخر؟

- حسناً، سيأخذك جميل إلى هناك. سأسألك

سؤالاً: والدك لن ينظر إليك كابن يوماً ما، حتى لو مت من أجله، فمتى ستقطع الأمل منه؟

- متى فهمتَ هذا؟

- من أول يوم رأيتك معه. كنتَ تنظر إلى عينيه لتسمع كلمة جيدة. آباؤنا لم يحبونا يا ناظم، ولا يوجد حل لذلك. لا تنتظر فلن يتغير شيء.

بدأ ناظم في البكاء، وقال سليم:

- هل قال لك يا بني ولو مرة واحدة من قلبه؟ حتى موتك لا يهمه. المهم أن يعيش هو. وإذا استمر الأمر كذلك فستموت حقاً ولن يتغير شيء.

- هل لديك حل آخر يا سليم؟ أنت تتحدث في الفراغ.

- إذن فلتسمح له أن يقتلك أو اهرب.

ابتسم ناظم لأنه يعرف أنه غير قادر على الهرب ثم قال سليم:

- يوجد خيار آخر.

توقف سليم وفهم ناظم ما يود سليم قوله وتبادلا

النظرات طويلاً.

عرف ياماتش أخيراً من هو السيد، لقد كان رجلاً قوياً لكنه لا يعرف الحرب ولم يكن يعرف أن ياماتش وفارتولو يحاربانه معاً.

في مخزن بايكال

كان ياماتش ورجاله يضعون الأقنعة الواقية على وجوههم، ولم يكن بايكال يعرف ذلك. أمر بايكال رجاله بإحضار فارتولو إلى المخزن وقال:

- ماذا قلتُ لك من قبل يا فارتولو، هل تذكر؟ قلت لك إذا أخفيتَ شيئاً عني فسوف أقتلك بيدي. وأنتَ خربتَ كل شيء يا غبي. كان من الممكن أن تكون نهاية مختلفة تماماً.

كان فارتولو محبوساً في غرفة زجاجية وفتح بايكال الغاز في الغرفة وكان يشاهده مستمتعاً ويقول:

- تكلم يا فارتولو. أنت أولاً ثم سليم ومن بعده ياماتش وإدريس، سأقتلكم جميعاً. اسمي بايكال، ولا يمكنكم مواجهتي.

سقط فارتولو على الأرض وكان كأنه سيختنق من

تأثير الغاز ثم شعر بايكال بشيء غريب لأن فارتولو بدأ يبالغ في حركاته وهو يتألم على الأرض ثم بدأ ياماتش ورجاله ومعهم مدد في الضحك من تحت الأقنعة الواقية وفي هذه الأثناء وقف فارتولو وأخرج منديلاً من جيبه وبدأ يرقص ويقول: "هذا الغاز جيد جدا يا أفندم، ما اسم هذا الغاز؟". اندهش بايكال كثيراً ولم يعرف ماذا سيفعل ثم وضع مدد سماعات في أذن بايكال وفتح الأغنية التي يسمعها ياماتش دائماً، وأشار مدد إلى رجل يرتدي قناعاً واقياً فإذا به ياماتش الذي بدأ يرقص أيضاً ويقترب من بايكال بالسلاح.

مات بايكال، وكانوا يظنون أنه من الممكن أن يعود كل شيء مثل السابق، ولكن هل هذا ممكن؟ لأن حسابات جديدة ستُفتح، وفوق ذلك، ستكون المشكلة بين العائلة نفسها وليس من الخارج، لأن إمره من العائلة أيضاً.

التقى ياماتش بإمره بعد ذلك، وقال ياماتش:

- لماذا ساعدتنا وأنقذت نساء العائلة؟

- ألم تقل إنه لا أحد يقدر على إيذاء أحبابك؟ وأنا أيضاً لا أحد يقدر على إيذاء أحبابي.

- ماذا تقول أنت؟

- قلتُ لا أحد يقدر على إيذاء أحبابي.

- هل ثناء أختك؟

- نعم، وأمي أيضاً كانت معهنّ.

لم يرد ياماتش وكان يتمتم لنفسه بشيء ما.

جاءت إزجي إلى إمره وقالت:

- جئتُ على عجل، هل يوجد أحد في الداخل؟

- لا تقلقي لا يوجد أحد. هذا المكان هو عيادتكِ من الآن، وأنتِ طبيبة أمراض نفسية، لا تنسي هذا وكوني حذرة لكلامك.

ذهبت إزجي إلى داران صديقة ثناء وقالت:

- إنني لا أعمل اليوم، لكنني جئتُ عندما قلتم إن الأمر عاجل.

- نعم، ثناء في وضع سيئ للغاية.

ذهبا إلى جوار ثناء، وقالت إزجي:

- تعالي معي يا ثناء هانم.

دخلا إلى الغرفة وبقيت داران بلا حيلة. جلست ثناء مع إزجي وقالت:

- أرى أشياء غير موجودة.

- اشرحي لي كل شيء بهدوء.

تحدثا معاً، وأعطت إزجي لثناء العلاج الذي أعطاها إياه إمره ثم أخذت ثناء العلاج وانصرفت. تناولت ثناء العلاج لبضعة أيام وصار وضعها أسوأ ثم ذهبت إلى إزجي مرة أخرى وقالت:

- عقلي يلعب لعبة بي. إنني أعيش أشياء سيئة للغاية. أرى أشياء غير موجودة. صرت أشك في نفسي. هل من الممكن أن يكون كل هذا من تأثير العلاج؟

- لا أظن ذلك. لا يوجد أثر كهذا لعلاجك. لقد أعطيتُك أصلاً علاجاً خفيفاً. الأزمة في أن لديك مشكلات قادمة من الماضي، ويجب أن نحلها أولاً وإلا فالمشكلة ليست في العلاج.

كان حلماً وانتهى يا صالح...

جلس فارتولو وسعادات وهما يعلمان أن الوقت المتبقي قليل، قالت سعادات:

- لم أكن أعرف أن الحياة فيها أشياء جميلة أيضاً. أعرف أن هذا سينتهي ولكن أتمنى ألا

يحدث ذلك.

- ربما لا ينتهي يا ساديش. ابقي في هذا البيت وأنا سأذهب وأعود صباحاً. هل من الممكن أن أفعل هذا؟

- حسناً وماذا ستفعل عندما تذهب؟

لم يرد فارتولو وفي هذه الاثناء طُرق الباب وفتحه فارتولو فوجد إدريس أمامه فقال:

- ليس لدي نية سيئة. لم أحضرها إلى هنا بالقوة.

- تعالي إلى هنا يا ابنتي.

جاءت سعادات وطلبت من فارتولو أن يدخل ثم قال إدريس:

- هيا يا ابنتي، اجمعي أغراضك لنذهب من هنا.

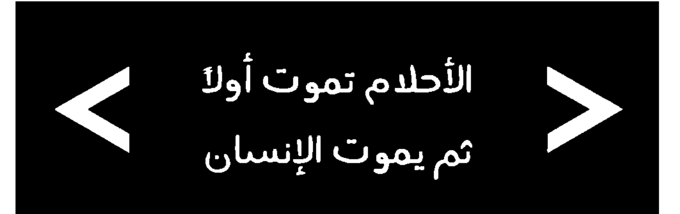
نظرت سعادات إلى فارتولو واتجه إدريس إلى السيارة وقال فارتولو:

- لا تذهبي يا ساديش.

- كان حلماً وانتهى يا صالح.

ذهبت سعادات وهي تبكي إلى إدريس، وركبت السيارة وذهبا معاً ومن خلفهما فارتولو ينظر إلى السيارة ثم اتصل مدد به وبعد إنهاء المكالمة ذهب إلى معمل المخدرات الجديد. أحضر مدد رجالاً آخرين وقاموا جميعاً بتقبيل يد فارتولو الذي قال لهم:

- لقد مت مرة واحدة وليس لدي نية لأن أموت مرة أخرى. سنصنع بضاعة لم نصنعها في حياتنا من قبل، وسنربح الكثير من الأموال. وسنحاسب من يمنعوننا من أن نكون سعداء. من أراد أن يتركني فليتركني من الآن، ولكن إذا تراجع في نصف الطريق سأقتله.



ناظم وفارتولو

اتصل ناظم بفارتولو واتفقا أن يلتقيا في مقهى قريب من المعمل الجديد، وجلسا ليشربا الشاي ويلعبا الطاولة. قال ناظم:

- هل الأمور في الحفرة على ما يرام؟

لم يرد فارتولو فقال ناظم:

- انظر يا فارتولو، لقد صرنا شركاء وهمُّك همِّي.

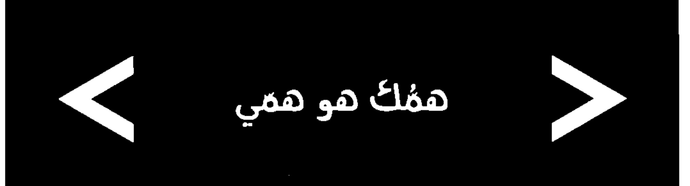
- سأصبح والد الحفرة قريباً أيها السيد الصغير.

- حسناً، وأنا جئت لأجل هذا. وإذا أردتَ يمكنك تحقيق أحلامك في وقت أقصر.

- وكيف يمكن ذلك؟

- ماذا نفعل كلنا يا فارتولو؟

- نسعى خلف لقمة عيشنا.



في بيت إدريس

قال ياماتش:

- ارفع رأسك يا مدد وانظر إلى أمي.

نظر مدد إلى سلطان بخجل، وقال ياماتش:

- وأنتِ انظري إلى مدد يا أمي، انظري إلى عينيه. لو طلبتي أن أطلق عليه الرصاص سأفعل.

لم ترد سلطان ثم دخل سليم وقال:

- انتظري قليلاً يا أمي. لماذا أطلقت الرصاص على أمي يا مدد؟

- كانت ندرت هانم ستطلق الرصاص على أخي سعد الدين وكنت أحاول أن آخذ منها السلاح ولم أعرف بحضور سلطان هانم ثم خرجت الرصاصة. إنني لا أطلق النار على النساء والأطفال حتى لو كنت سأموت.

- ومن قتل كهرمان؟

- أنا واثنان من أصدقائي.

- من أمركم بهذا؟

- لم يأمرنا أحد، كانت بيننا خصومة.

- أي خصومة يا هذا؟ لم تكن تعرف أخي أصلاً.

لم يرد مدد، وقال سليم:

- لو أطلقت ندرت النار على فارتولو ماذا كنتَ ستفعل؟

- كنت سأسلمها لكم.

- أنتَ اعتذرت لي وأنا سامحتك، أليس كذلك يا مدد؟

- نعم، صحيح. أحدهم أوقع بيننا يا أخي وأنا أطلقت عليك النار، لكننا قتلنا من تسبب في ذلك.

أشار سليم إلى متين وكمال فأخذا مدد إلى الخارج ثم قال لأمه:

- هل إذا قتلنا هذا الرجل ستقدرين على المشي مرة أخرى؟ من قتل كهرمان هو فارتولو وسبب ذلك هو ما فعلتيه أنتِ. أنتِ من اقترف ذنباً بحق صالح وتدفعين الجزاء الآن. لا يقدر ياماتش أن يواجهك بذلك، لكنني أستطيع أن

أقول لكِ هذا في وجهكِ. يوجد أخ واحد لفارتولو وهو مدد، فهو يعامله كأخ حقيقي. وإذا قتلناه سيهاجمنا فارتولو من جديد. وأنتِ جئتِ بياماتش إلى هنا من أجل الصلح، لكنكِ تريدين الدماء الآن. تغضبين على نفسك لكنكِ تضربين الآخرين. اجلسي والعبي مع أحفادك ودعكِ من هذه الأمور.

لم ترد سلطان ولم يعلّق ياماتش أيضاً لأنهما يعلمان صحة كلام سليم الذي ترك الغرفة على عجل ومن خلفه ياماتش وهذه إشارة إلى أنه يوافقه الفكر. غضبت سلطان كثيراً وأمسكت التليفون لتجري مكالمة.

كان مدد ينتظر في الخارج مع متين وكمال. قال كمال:

- لماذا ضربتَ أخي كهرمان يا مدد؟ لو عرفتَه لما فعلتَ ذلك.

قال متين:

- لا تفتح هذا الموضوع يا كمال.

رد مدد:

- أنتَ قتلتَ من قبل يا أخي كمال، أليس كذلك؟ قالوا لك اقتل فقتلتَ، أليس كذلك؟

- نعم.

- حسناً، هل كان بين من قتلتهم شخص اسمه علي؟

- لا أدري، ربما.

- لماذا قتلتَ علياً إذن؟

- ماذا يعني هذا؟ قالوا لي اقتله فقتلته.

بعد صمت لمدة من الوقت فهم متين وكمال ما أراد مدد قوله ثم أضاف:

- هذا ما وددتُ أن أقوله لك. سبب قتلك لعلي هو سبب قتلي لكهرمان.

لم يرد كمال وقال متين:

- يا غبي، قلت لك لا تفتح هذا الموضوع.

جاء سليم ومعه ياماتش ثم سأله:

- ماذا ستفعل في مدد يا ياماتش؟

- سيكون ضيفنا لبعض الوقت. لقد أنشأ فارتولو معملاً جديداً وجمع رجالاً من حوله لأن الرجال الذين كانوا معه تفرقوا بعد أن هاجمناه.

- لا تفتح هذا الأمر يا ياماتش، إنني غاضب عليك حتى الآن. كان يمكن أن تقول لي إنك لم تقتل فارتولو.

- هل أنت جاد يا أخي؟ لقد مرت أشياء كثيرة بعد ذلك، هل تحاسبني على هذا الآن؟

- لا يا ياماتش، لا أحاسبك. ما تفعله يشير إلى نقطتين؛ إما أنك لا تهتم لوجودي أو أنك لا تثق بي.

- رجاءً دعنا نتحدث في أمور أخرى يا أخي. لدينا مشاكل كثيرة الآن.

- تكون غبياً أحياناً، هل تعرف ذلك؟ منذ أن جئتَ وأنت تحاول أن تحل الكثير من الأشياء وتقول لي نتحدث لاحقاً، ولن يأتي هذا الوقت أبداً.

- ماذا أفعل إذن يا أبي، قل لي؟ لقد بقي العاملون في البارات بلا عمل وتضيع الأماكن من بين أيدينا يوماً بعد يوم. جاءت أموال كثيرة إلى فارتولو فجأة، وكل شيء صار فوق رؤوسنا. ماذا أفعل، قل لي أنت؟

في هذه الاثناء جاء فارتولو وقال:

- هل من الممكن أن تأتي قليلاً يا ياماتش بك؟

قال ياماتش لسليم:

- انظر، ها قد جاء.

اتجه ياماتش مع سليم نحو الباب ثم قال لفارتولو:

- تفضل، ماذا تريد؟

- مدد هنا، أعطيني إياه.

- لن أعطيك إياه.

- ماذا تريد إذن، قل لي.

- ستغلق المعمل وستبدد البضائع.

- وما شأنك أنت؟

- انظر إلي يا ابن أبي، لقد حاولت كثيراً أن أحميك، وواجهت أشخاصاً كثراً، فلماذا تحاول أن تدمر نفسك، هذا لا يستحق. ابحث عن عمل آخر.

- دعك من عملي الآن، وأعطني مدد.

- مدد سيكون ضيفاً عندي.

- قلتُ أعطني مدد وإلا سأدخل أنا لإحضاره.

- إذا استطعتَ فافعل.

جاء عمي وباشا ثم قال عمي:

- هل هناك مشكلة يا ياماتش؟

- لا يا عمي، فقط نتحدث.

ثم التفت ياماتش إلى فارتولو وقال متحدثاً عن سعادات:

- يوجد رابط لك بهذا البيت، ويجب أن يكون هذا الرابط سبباً في قوتك، لكنك تقوم بقطعه. قلت لك لا تصنع المخدرات وابحث عن عمل آخر. اذهب الآن وفكر جيداً. ومدد سيكون بخير إنه ضيفي.

- إنني في بيتي وإن لم يأتِ حتى الصباح فسوف أغضب كثيراً. أنت تعرف ما يمكن أن أفعل.

إنهم يتلاعبون بنا يا ساديش

فكرت سعادات طوال الطريق في الطريقة التي ستخبر بها فارتولو عما حدث. حاولت أن تبتعد عنه لكن لن تقدر على ذلك، ولا تدري ماذا ستفعل الآن.

ولا تستطيع أن تعيش معه لأنها غير راضية عن حياته. كما أنها لم تعد قادرة على البقاء في بيت إدريس لأنها لاحظت أن سلطان غير مرحبة بها. ذهبت إلى مكان لقائهما المعتاد- وكان فارتولو قد وصل مبكراً وينتظرها كالمجنون. قال فور وصولها:

- مدد أخبرني ببعض الأشياء، هذا كذب أليس كذلك؟

- وماذا قال لك، من أين أدري أنا؟

- سيزوجونكِ وأنتِ قبلتِ.

- نعم صحيح.

- لا تفعلي هذا يا ساديش. إنهم يتلاعبون بنا.

- ماذا أفعل إذن؟ قل لي ما الحل.

- تعالي معي.

- إلى أين؟

لم يرد ثم قالت:

- قل لي إلى أين؟

- غاية أمك سلطان أن تحرق روحي. لا تفكر فيكِ أصلاً.

- ألاحظ ذلك.

- تلاحظين أن روحي تحترق، أليس كذلك؟

- لا أتحمل ذلك، ولكن روحي أيضاً تحترق. أنتَ في طرف وهم في طرف وأنا بقيت بينكما. أليس أمراً مؤسفاً؟ هذه مشكلة لا تُحلّ. سألني إدريس بابا وأنا قلت افعل ما تراه صحيحاً.

- كيف قلتِ هذا؟ ألستِ حبيبتيساديش؟

- لستُ لأحد، وخصوصاً سعد الدين فارتولو.

اقترب منها كالمجنون، وكان لا يعي ما يفعل ثم قال:

- أنتِ لي يا ساديش، ضعي هذا في عقلك. أقتلكِ وأقتل من يريد الزواج منك.

عندما لاحظ الخوف في عينيها عاد إلى نفسه وشعر بالندم ثم قال:

- لا أريد أن أقول هذا يا سعادات.

لم ترد سعادات وركضت بعيداً عنه وغضب فارتولو من نفسه كثيراً وبعد أن هدأ تذكر إدريس وجُنّ جنونه من جديد.

عائشة وجميل

كانا يسيران في حديقة بيت إدريس، وقد حكت عائشة كل شيء لجميل الذي اندهش كثيراً ولم يكن ينتظر شيئاً كهذا. قالت عائشة:

- إدريس بابا يراقبك وسألني عنك وقلت إنك رجل مهذب. هذا قرار صحيح لكما. ما رأيك يا جميل؟

- إنني لا أعرف سعادات أصلاً، وليس بيننا غير مرحبا.

- هذا يكفي، أنا لم أكن أعرف سليم على الإطلاق. جاءت سلطان وطلبتني وأنا قبلت.

- حسناً، ولكن هذا شيء مختلف. أنتِ امرأة.

- في الأصل هو نفس الشيء. عائلة كوتشوفالي مثل الشمس ونحن حولهم كالكواكب. أنا قريبة من الشمس وأنت أبعد قليلاً. هذا كل ما في الأمر، ولا علاقة للأمر برجل وامرأة.

- نعم، لكن الأمر فاجأني.

- أنت أدرى ولكن إذا لم تقبل فسوف تكسر

خاطر إدريس بابا. ولن يسمحوا لك بدخول البيت كما تريد، ولن تستطيع أن ترى من تريد أن تراه داخل البيت بسهولة.

تحمس جميل كثيراً ثم قال:

- أعرف أن هذا عيب، ولكن إذا طلبتِ مني أن أموت فسوف أموت.

- حسناً، إذا سأتحدث مع إدريس بابا وأخبره بأن الأمر مناسب. وابق هنا يا جميل لا تذهب.

بعد أن قالت ذلك عادت عائشة إلى البيت وكان جميل ينظر إليها عاشقاً. وفي هذا الوقت دخل سليم غرفة سلطان وقال:

- لماذا لا تتوقفين عن هذا يا أمي. وضعتِ مدد في رأسكِ أولاً والآن تفعلين نفس الشيء مع سعادات، لماذا تفعلين هذا؟

- لأنكم لا تفعلون ما يجب فعله أنا وندرت.

أشار سليم إلى ساقها المشلول وقال:

- نعم، ندرت فعلت ما يجب فعله حقاً. أليست سعادات مثل ابنتك؟ لماذا تريدين أن تتزوج برجل لا تحبه؟ لقد أحرقتني من قبل، ألا

يكفي؟ ماذا تريدين، هل تريدين حرباً؟ هل تريدين أن نموت جميعاً؟ ولكن إذا حدث ذلك، هل ستبقين أنتِ والدة الحفرة سيبصقون في وجهكِ؟ أنتِ لا ترين جيداً ما تفعلين.

- أبوك يقول عنك دائما: هذا الولد ضعيف وجبان ولن يصير رجلاً. لكنني دافعت عنك دائماً، ليتني لم أفعل. لقد قتلوا كهرمان أمامك ولم تطلق رصاصة واحدة. وتحاول أن تدافع الآن عن قاتل أخيك. أبوك محق، أنت جبان وضعيف. اخرج من هنا ولا تأت مرة أخرى، لا أريد أن أرى وجهك.

- ما شاء الله، كم تحبونني!



في سوق الحفرة

وقف إدريس على إحدى عربات الخضار والفاكهة في السوق ومن خلفه جلاسون أما سليم فكان بجواره يبيع للناس وثيابه اتسخت أثناء العمل. جاء أحد الزبائن لشراء شيء ما، ونسي سليم أن يعطيه باقي النقود. فقال الرجل:

- لم تعطني الباقي.

بحث سليم في جيبه فلم يجد فكة فأخرج من جيبه عشرين ليرة وأعطاها للرجل فقال:

- هناك خطأ يا سليم بك، أعطيتك عشر ليرات فأعطيتني عشرين ليرة.

- ليست مشكلة خذها وردّها في وقت آخر، هيّا هيّا.

بعد أن ذهب الرجل تمتم سليم بأشياء وكان والده يشاهد ما حدث فقال غاضباً:

- ماذا تفعل يا بني؟

- ماذا أفعل، لم أجد فكة.

- يجب أن تعطي للزبائن بقية نقودهم كما هي.

لا تعامل الناس وكأنك تتصدق عليهم.

- هل نتحدث الآن من أجل عشرين ليرة يا أبي؟

- ليكن، ولكن هذا هو باب رزقنا يا بني.

- كم جميل ما قلت. هل تعرف ما يقولونه عنك خارج الحفرة؟ يقولون لديه مليارات لكنه يذهب من البيت إلى المقهى ومن المقهى إلى البيت، ولديه ثلاث بدلات فقط. فمن أين ربح هذه النقود؟ أنت تغضب علي دائماً بسبب سيارتي الفارهة وثيابي الفاخرة، ولكن لدينا المال فلماذا لا أفعل هذا؟

أخرج سليم من جيبه حزمة من النقود وقال:

- انظر، لدينا أموال. لقد تغير الزمن وأنت لا تدري.

غضب إدريس وقال:

- لقد أطلقوا عليك الرصاص لكنه أصاب فمك، وجعله مفتوحاً أكثر.

- ماذا تقول أنت يا أبي أمام الجميع؟

- جلاسون ليس غريباً.

التفت إدريس نحو جلاسون وقال:

- شاهد جيداً وخذ الدرس.

ثم قال:

- هيا يا سليم اذهب من هنا.

خلع سليم مريلة العمل وذهب ثم قال إدريس لجلاسون:

- هيا، البس هذه المريلة.

- أنا؟

- نعم، هل صعب عليك هذا يا بك؟

- ليس صعباً عليّ، ولكن هذه العربة يقف عليها دائماً إدريس بابا وأولاده.

- ماذا قلت لك يا جلاسون أفندي؟

ذهب جلاسون خلف العربة، وبقي سليم يشاهدهما من بعيد في غضب.

ألا تفكر في سعادات أبداً؟

جلس إدريس أمام المقهى وهو ينظر بغضب إلى ناحية فارتولو. كان مدد في الخارج وفارتولو لم يكن ظاهراً، وكان صوت الموسيقى مرتفعاً للغاية. فقال:

- اخفض صوت هذه الموسيقى.

كان مدد يعرف أن فارتولو سيغضب إذا فعل هذا، لكنه يخاف من إدريس أيضاً فقال بهدوء:

- إذا أمرني أخي سعد الدين سأفعل.

غضب إدريس واتجه نحو مدد فتدخل ياماتش وأخذه الى الناحية الأخرى وقال:

- تعال يا أبي. ماذا قلنا بالأمس. ألم أقل لك دعك من هذه الأمور. إنه يعاندك. ألم أقل لك اترك لي هذه الأمور؟

- قلت لفارتولو إن كل ما تفعله سيكون له آخر. ماذا أفعل الآن، هل أرجع في كلامي؟

- وأنتَ ستتحمل نتائج ما تفعل يا أبي. قلتَ له اذهب ولم يذهب. وقلتَ لي إنك ستترك هذه الأمور، فماذا حدث الآن؟ دعك من كل شيء، ألا تفكر في سعادات؟

- سألتها ووافقت.

- أنت تحب سعادات وتريد لها الخير يا أبي.

- حسناً، دعك من هذا الآن يا ياماتش.

- حسنا، افعل ما تريد. لدي أصلاً الكثير من الهموم.

ابتعد ياماتش وعاد إدريس إلى غضبه فأمامه الآن فارتولو الذي يتمرد على كل شيء.. ابنه الذي لم يقم إدريس بتربيته بيديه. لم يتعود إدريس على ذلك، ويحاول أن يكتم غضبه لكنه لا ينجح في ذلك.

سعادات هي من تربطني بالحياة

كان فارتولو يشاهد بيت إدريس من المنظار، فهو يعلم أنهم سيأتون لطلب يد سعادات اليوم. جاءت سيارة نزل منها جميل وأمه ففهم فارتولو وجن جنونه. قال لمدد:

- هيا يا مدد سنذهب.

دخل فارتولو بيت إدريس وطلب لقاءه فنادوا على إدريس ودخلا معاً غرفة الاجتماعات. قال إدريس:

- ماذا ستقول لي من جديد؟

- أنت لا تريدني.

- ليس الأمر كذلك، قلتُ لك شروطي وأنت لم تقبلها.

- كنتُ إنساناً سيئاً عندما جئت إلى هنا، لكنني تغيرت الآن. هناك من غيّر حياتي وعلمني

وجود الأمل. لا تقطع رابطي الوحيد بالحياة. دعني أكون إنساناً ولا تجعلني أعود حيواناً كما كنت.



لا يوجد سوى الحزن في الخارج

التقت عائشة بجميل على سطح بيت إدريس وكانا متوتران للغاية. قالت عائشة:

- ماذا تريد؟

- لنهرب الآن معاً.

- جميل لا تهذي. هل تلاحظ ماذا يحدث في الأسفل؟

- قولي لي بصدق، هل كانت نظراتكِ لي كذباً؟ إذا قلتِ نعم فسوف أقبل بذلك وأنزل إلى العرس الآن. ولكن كوني صادقة معي لمرة واحدة.

لم تقل عائشة شيئاً وأكمل جميل:

- انظري. أنتِ أيضاً تشعرين تجاهي بشيء ما. ربما ليس حباً لكنكِ تفكرين في أن أكون معكِ دائماً.

- ماذا تقول أنت، ماذا تظن أنه من الممكن أن يحدث؟

- تعالي معي لنذهب من هنا.

- هيّا، اذهب أمامي. هل سيتركك الرجال في الأسفل؟ كل حياتنا هنا، ماذا يمكننا أن نفعل في مكان آخر؟ ربما نعيش هنا في قفص لكنه قفص من ذهب. أنت تقوم بتعقيد الأمور الآن. لقد حاولتُ مرة من قبل وأنت تعرف ماذا حدث لي. إنني راضية بقدري وعليك أن ترضى أنت أيضاً.

- سأرتب كل شيء، هل تأتين معي؟

- ماذا تريد أن تقول؟

- أنتِ تعرفين سليم جيداً، وأنا سأقول له أن يتركنا وشأننا.

- انتهى حديثنا الآن. اذهب واغسل وجهك وانزل لتتزوج.

- لا، سأفعل ما قلته. إذا لم أقل لسليم فسوف أقول لإدريس بابا، ونخرج من هنا.

اتجه جميل نحو الباب، وفي هذه الأثناء، أمسكت عائشة أمامها وضربته على رأسه فسقط على الأرض، ولم تعرف عائشة ماذا تفعل فنزلت واستدعت سليم وصعدا معاً مرة أخرى وبدأ سليم يصرخ ويقول ماذا فعلتِ به، إذا ماتَ فاعلمي أنكِ متِّ أيضاً.

قالت عائشة:

- لقد طلب مني أن نهرب من هنا وأنا رفضت فقال لي سأخبر إدريس بابا بوضع سليم.

- ماذا يعني هذا؟

لم ترد عائشة، وكانت خائفة للغاية. كان جميل يتنفس حتى تلك اللحظة فأرسل سليم عائشة إلى الأسفل وجلس بجوار جميل وبدأ يمسح على شعره أولاً وهو يبكي ثم أغلق فمه وأنفه بيديه. مات جميل بعد قليل فمال عليه سليم وقبّله من جبينه واستمر في بكائه.

كل أملاكي لياماتش

كان إدريس وعمي وباشا وسليم ينتظرون ياماتش، وبعد قليل جاء ثم قال:

- ماذا حدث يا أبي؟

- تعال يا بني، ماذا فعلتَ أنت؟

- أخذوهم إلى المخفر وسيخرجون في الصباح.

- لو لم يحدث هذا لكان أفضل.

- كان هذا هو الحل الوحيد الذي خطر ببالي.

- هل تعرف ماذا حدث هنا؟

- نعم، سمعت.

التفت إدريس إلى سليم وقال:

- كان أكثر رجل يثق فيه سليم، لكنه هرب.

قال ياماتش:

- سليم ليس لديه ذنب في هذا يا أبي.

- كيف يعني؟ قال إنه كفيل هذا الرجل. لقد فُضحنا أمام الجميع. دعوت الجميع على عرس ابنتي ثم قلت لهم لا يوجد عرس، عودوا إلى بيوتكم.

- سنجد جميل يا أبي ونسأل عن مشكلته.

- إذا عاد سأكسر قدمه بيدي. المهم، لقد جمعتكم لأنني قررت قراراً، سوف أنقل كل أملاكي في الحفرة لك. أنتَ أثبتَ أنك تفعل كل شيء من أجل الحفرة، وأثق أنه لا أحد غيرك يفعل ذلك.

- نتحدث في هذا لاحقاً يا أبي، فهذا ليس وقته.

- قلتُ ما أود قوله، هل أنتم شاهدون على ما قلت؟

هزّ عمي وباشا رأسهما موافقة، ووقف سليم وخرج بهدوء دون أن يقول شيئاً وقال ياماتش:

- آه يا أبي، ماذا أقول لك الآن؟

- لا تقل شيئاً.

اتفاق رباعي

جلس فارتولو مع إمره وناظم ثم قال:

- هيا لندخل في الموضوع مباشرة، لأنني متعب من بقائي في المخفر طوال الليل.

رد ناظم:

- نعرف، لا تقلق لن نطيل.

قال إمره:

- هاجمتم العرس بالأمس أنت ورجالك بالسلاح، وكنت أنا هناك أيضاً مع أمي.

رد فارتولو:

- ماذا يفعل هذا الرجل هنا؟ الآن فهمت! لماذا دعوتني إلى هنا على عجل؟

قال ناظم:

- سأعطيك هدية أولاً.

أعطى ناظم هدية لفارتولو وفتحها فوجد رابطة عنق ثم قال:

- هل هذه لي؟

في هذه الأثناء جاء سليم وقال:

- ارتديها لمرة واحدة، ماذا سيحدث؟

اندهش فارتولو من وجود سليم، كان يعرف أن علاقته سيئة مع عائلته ولكن ليس لدرجة جلوسه مع هؤلاء على طاولة واحدة. جلسوا معاً للاتفاق وقال سليم:

- نتفق ولكن لدي شرط.

قال فارتولو:

- بالتأكيد ستقول لا تقتلوا أحداً.

- لن أقول هذا. هذا قرارك أنت، اقتل من شئت. وأنت لا تدري ولكنك في موقف جيد.

كل من في الحي يقولون الآن إنك من الحفرة ومن عائلة كوتشوفالي. لقد أنقذت ياماتش من الحريق، وهو فجّر معملك، والدور عليك الآن، يجب أن تقتل أحدهم. يمكنك أن تقتل باشا، الجميع يحبه فابدأ به. وأنت أدرى.

فهم فارتولو ما يقصده سليم ثم قال سليم لناظم وإمره:

- لقد قلت لوالدكم لكنه لم يسمع كلامي، ورأينا ما حدث أخيرا. الآن يجب أن تنفذا خطتي، هذا شرطي الوحيد.

قال ناظم:

- قبلكُ.

رد إمره:

- وأنا أيضاً.

لم يرد فارتولو في أول الأمر لكنه ارتدى ربطة العنق وهذا يعني موافقته.

خزنة إدريس السرية

كان عليشو يجلس في مكانه المعتاد على البحر

وفي يده سنارة ولكن بلا حبل. جاء إدريس ومعه ياماتش الذي سأل:

- لماذا جئنا إلى هنا يا أبي؟

- سنسحب نقوداً.

اقتربا من عليشو فقال:

- أهلا بكما.

رد ياماتش:

- هل تصطاد السمك يا عليشو؟

- أحاول.

- ولكن ليس للسنارة حبل يا عليشو.

- كان لها حبل قديماً واصطدت سمكاً، لكنني حزنت كثيراً وألقيته في البحر مرة أخرى. الآن لا أصطاد لكنني أعمل وكأنني أصطاد.

- جيد جيد.

قال إدريس:

- كنت تركت معك أمانة يا عليشو، هل ما زالت هنا؟

- نعم معي.

- هل من الممكن أن نأخذها؟

- نعم، ولكن انتظر قليلاً.

- لماذا يا عليشو هل لديك ضيف في الداخل؟

قال ياماتش:

- هل تركت الأموال هنا يا أبي؟

لم يرد إدريس ودخل عليشو وقام بتغطية صور مليحة التي يعلقها ثم خرج وقال:

- تفضلا.

دخلا فوجدا عليشو يحاول إخراج النقود من داخل لعبة أطفال على شكل دب. قال إدريس:

- هل خبأت النقود هنا يا عليشو؟

- نعم لأنك قلت لي احفظ هذه النقود يا عليشو.

- نعم قلتُ هذا.

نظر ياماتش متعجباً، وقال إدريس:

- خذ يا ياماتش. يوجد هنا ٢٠٠ ألف ليرة يا عليشو، أليس كذلك؟

- قلتَ لي ٢٢٥ ألف.

- متى تركت معك هذه النقود يا عليشو؟

- في ٢٠١٤.

نظر إدريس إلى ياماتش وقال:

- خذ هذه النقود يا ياماتش، تركتها ليوم كهذا. وهذه آخر النقود لا يوجد غيرها.



على اي شيء يبحث عليشو؟

جلس عليشو مع شنار يشربان الشاي في الحديقة. قال شنار:

- كانت واحدة من أكثر النساء مرحاً. كنا نحبها جميعاً، وخصوصاً بولنت أرسوي هانم. لم يغنيا في نفس المكان، ولكنهما من عشاق الموسيقى.

- في عام ١٩٧٢ كانت تعمل في مكان لعروض الموسيقى اسمه شان، وأنتَ أيضاً كنت تعمل هناك مع سونادرو وكارنجا.

- صحيح.

- وفي العام التالي كنتم تعملون هناك ولم تكن معكم، فماذا حدث لها؟

- صحيح. جاء أحد الآغاوات وطلب منها أن تغني أغنية وكانت تغني أغان راقصة لكن الأغنية التي طلبها الرجل كانت حزينة فلم تغنها، غضب الرجل وأخرج سلاحه وأطلق على ركبتها. ظلت في المستشفى لعام وأخيراً لم تشف تماماً. كانت ستتجح كثيراً في

طريقها ولكن لم يحدث، وساءت أحوالها ولم تعد ترغب في لقائنا ثم سمعت أنها بدأت تتعاطى المخدرات وحزنت كثيرا عليها. سمعت بعد ذلك أنها عشقت رجلاً في آخر السبعينيات وعاشا قصة حب كبيرة وكان الرجل من الآغاوات وأخيراً قتلها.

- لكن مليحة لم تمت.

- ماتت وأنا ذهبت إلى جنازتها.

- من قتلها؟

حاول شنار أن يتذكر ثم قال:

- لا أدري ولكن أظن كان اسمه إحسان.

- إدريس كوتشوفالي.

- نعم هو الذي قتل مليحة.



طلب عليشو من إدريس الحضور إلى كوخه، وبعد أن جلس قال:

- هيا قل أسمعك يا عليشو، ما سبب هذه الزيارة؟

اضطرب عليشو كثيراً ولم يعرف ماذا عليه أن يقول ثم قال أخيراً:

- هل عشقتَ من قبل؟

لم يعرف بماذا يرد إدريس، وقال:

- من أين أتيت بهذا الحديث الآن يا عليشو؟

- سألتُ هكذا يعني.

- اجلس.

- هل عشقتَ من قبل، هل يقتل الإنسان من يحب؟

- كل شخص يقتل من يحبه يا عليشو، ألم تُكتب الأشعار في ذلك؟ لقد رأيت من يقتلون أحبائهم بكلمة أحياناً أو بقلم وحتى بنظرة. الموت لا يعني فقط الموت الذي تعرفه يا عليشو.

- وهل قتلتَ من قبل؟

- ليتني لم أفعل لكنني فعلت. إنني لا أندم يا عليشو. كان يجب أن أفعل هذا وفعلت، ولكن هذا موضوع آخر. ولكن أعرف أنني سأموت غير مرتاح...

حيلة جلاسون

قام جام بخطف فارتولو وياماتش وذهب بهما إلى الغابة، وكان في إحدى يديه سلاح وفي الأخرى قنبلة يدوية. كانا يسيران أمامه وكان يلقي أمامها القنبلة تلو الأخرى ليخيفهما. قال فارتولو:

- لماذا خطفتني، ماذا فعلت لك؟

رد جام:

- لو لم تخطف أبي كنتُ سأرسله إلى الخارج. لقد مات بسببك.

قال ياماتش:

- نعم صحيح.

قال جام:

- أنتَ لا تتحدث أبداً. أنتَ كنتَ تعرف أن جمعالي كان يريد قتل أبي. كان بإمكانك منع هذا لكنك لم تفعل.

جاء جلاسون وقال:

- صحيح ما تقوله يا أخي.



قال جام:

- ومن أنتَ يا هذا؟

- إنني أحد أبناء الحفرة يا أخي. وأنت تخطفهما اختبأت في شنطة السيارة، لأنني لن اسامح نفسي إذا لم يمت هذان الشخصان أمام عيني. انظر إلى فارتولو هذا، إنه قتل أبي، والذي بجواره وعدني بالانتقام ولم يفعل شيء. جئتُ لأشاهد موتهما.

قال ياماتش:

- ماذا تفعل يا جلاسون؟

قال فارتولو بصوت منخفض:

- انتظر قليلاً يا ياماتش، إنها حيلة.

قال جلاسون:

- هل أكذب فيما أقول؟ كم شخصاً عذبتما، ولم يفعل لكما أحد شيئاً؟ هيا يا أخي جام، استمر فيما كنتَ تفعل.

قال جام:

- انظر، إنني أفعل هكذا...

أخذ جام قنبلة وألقاها فوقهما فقال جلاسون:

- كم هو شيء جميل أن أشاهد هذا.

قال فارتولو لياماتش:

- كأنه لا يقوم بعمل حيلة أو ما شابه. ماذا تفعل يا جلاسون؟

قال جلاسون:

- انتظر، لم تر شيئاً بعد. ألق عليهما قنبلة أخرى يا أخي ثم أطلق عليهما الرصاص.

ألقى جام عليهما قنبلة أخرى وفي نفس اللحظة هاجمه جلاسون فانفجرت القنبلة في الناحية الأخرى ثم نهض جلاسون وقال ليالماتش وفارتولو:

- هل أنتما بخير؟

وقبل أن يجيبا قال جلاسون لجام:

- هل أنت بخير؟

نهض فارتولو غاضباً وقال:

- لا تتركه يا جلاسون سأقتله.

قال ياماتش:

- لا، دعك منه يا فارتولو.

قاموا بربط جام ووضعوه في السيارة، وفي هذه الأثناء اتصل إدريس بياماتش وأخبره بأن جلاسون أنقذهما ثم اتصلت إزجي بياماتش وقالت:

- هل من الممكن أن تمر علينا لنتحدث بشأن ثناء؟

أغلق ياماتش التليفون حزيناً وعاد إلى الحي ثم طلب من جلاسون أن يرتدي بدلة وينتظره في بيت إدريس، فقال جلاسون:

- لماذا يا أخي، ألم تخبرني؟

- سيأتي شخص ليطلب يد أكشين.

- ماذا تقول يا أخي، من سيأتي؟

- افعل ما قلتُ لك، وانتظرني في المساء.

ذهب ياماتش إلى إزجي وقالت:

- لا تؤاخذني على استدعائك هكذا، لكن الموقف خطير ولم يمر عليّ من قبل. اتصلت بطبيب صديقي وقال إن ثناء هانم يجب أن تُحجز في المستشفى ليتم مراقبتها عن قرب حتى لا تؤذي أحداً أو تؤذي نفسها. سأعطيك رقمه، ربما أردتَ التواصل معه.

- لا داعي، ثناء هي من جاءت إليكِ في الأساس، ولكن أليس في الأمر مبالغة؟ شكراً لكم لكنني سأذهب إلى طبيب آخر.

- هذا حقك طبعاً، ولكن على الأقل تحدث مع الطبيب صديقي. إنني أفكر في صحة ثناء هانم مثلك تماماً.

أخذ ياماتش كارت الطبيب ووضعه في جيبه ثم شكر الطبيبة غاضباً وانصرف.

سامحني

صعدت ثناء إلى سطح البيت وكانت تتخيل أنها تحمل طفل وبجوارها عيسى. صعدت على سور السطح وفي هذا الوقت وصل ياماتش وقال:

- انزلي يا حبيبتي.

- انظر إلى طفلنا يا ياماتش.

نظر إلى ذراعيها الفارغتين واقترب ببطء وقال:

- نعم، طفلنا يا حبيبتي. انزلي رجاءً.

- لكنك لن تأخذه مني.

- لن أفعل طبعاً.

- سامحني يا ياماتش، لم أكن أريد هذا.

- تعالي حتى لا يبرد الطفل.

- نعم صحيح.

نزلت ثناء وأمسكها ياماتش ومشيا معاً ببطء.

أخذ ياماتش ثناء إلى إحدى العيادات بعد ذلك، وسألته:

- إلى أين أتينا؟

لم يقدر ياماتش على الجواب، وقام بتسليمها إلى التمرجية، وفهمت ثناء ما يحدث وحاولت التخلص منهم بالبكاء والتوسل لياماتش لكنه ذهب وهو يبكي.

انتهى عصرك يا إدريس كوتشوفالي

جلس فارتولو وحيداً على طاولة في المكان الذي حبسه فيه ياماتش من قبل، وقد جهز الكرسي المقابل لإدريس الذي جاء بعد قليل مع متين وكمال، وطلب منه فارتولو أن يُخرجهما ثم قال إدريس:

- ماذا تريد يا هذا، هل صرتَ تطلبني إلى قدميك؟

- أستغفر الله، ليس كذلك.

- ماذا تريد؟

- تحدثنا هنا من قبل هل تتذكر؟ جئت هنا لأنتقم ثم تغير كل شيء. طلبت مني أن أذهب ولم أفعل، إنك لم تفهمني أبداً وكنت دائما بطرف ياماتش، ولكن انتهى كل شيء اليوم. انتهى عصرك يا إدريس كوتشوفالي. هذا عصري أنا، و...

وقف فارتولو ثم خرج سليم من الظلام فاندهش إدريس كثيراً وجلس سليم وقال:

- منذ وقت طويل وكل شيء يسير إلى الأسوأ. لقد بعتَ ساعات يدك ولم يتغير شيء. إذا

جاءت منك الاموال فسيكون أهل الحفرة سعداء ولكن عندما تتوقف الأموال فسوف يتحمل الناس قليلاً ثم يلتفتون إلى أناس آخرين. لقد بحثوا ووجدوا شركة وضعوا فيها أموالهم، حتى من لم يجد مالاً منهم رهن بيته، دون أن يخبروك. لقد خجلوا منك. انظر، هذا عقد بيت محيي الدين الحلاق. وهذا عقد حسن الذي يأتي لك بالشاي كل يوم، وهذا عقد خديجة أم جلاسون. لم يخبرك أحد منهم بذلك. يوجد ألف وثلاثمائة عقد بيت في الحفرة، تخيل كم معي منها؟

لم يرد إدريس، وأكمل سليم:

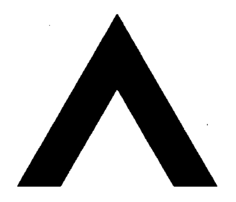
- أنتَ أحببتَ الحفرة أكثر منا جميعاً، وجمعالي أحبّ أبنائك إليك وكهرمان كان ذراعك الأيمن وياماتش هرب منك ثم جعلته تاجاً فوق رأسك وصالح الذي قتل كهرمان ما زال بيننا، حتى جلاسون جعلته من أبنائك، لماذا لم تعاملني كابنك أبداً، نعم كنت طفلاً ضعيفاً وجباناً ولم أكن كما أردتَ لكنني من نسلك أيضاً، كان يمكنك أن تحبني لهذا السبب فقط. ستحب أبناءك يا إدريس كوتشوفالي، مهما حدث. هل تعرف أنني أكثر من أحبك من بين أبنائك؟ لكنك تخليتَ عني دائماً. لم يكن

لديـك عائلـة فصـارت الحفـرة عائلتـك. لديـك خيـاران الآن؛ إمـا أن تعطنـي كل عقـود بيـوت الحفرة أو ستذهب من هنا.

أراه سليم العقود وقال: "أو ستذهب هـذه العقود. القرار قرارك".

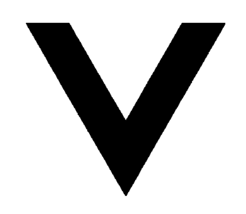
وقـف سـليم ثـم ذهـب وظـل إدريـس فـي مكانـه والدمع في عينيه.

> من السهل أن تكون ملك الحفرة،
> ولكن من الصعب أن تصبح والد الحفرة



أنا سليم. عشتُ في الظلام طوال حياتي، ومشيتُ في الظلّ. أخفيتُ اسمي وأخفيتُ نفسي وكأنني غير موجود دائماً. لم أستطع الحديث عن خوفي، ولم أشك أحداً ولم أبك كالمجرم على مستقبلي.

مرضتُ وانهرتُ ثم وقفتُ مرة أخرى. على وجهي آلاف الأقنعة، وأي منها رأيتَ فهذا أنا. يعرفون أنني ضعيف، فهل أنا كذلك؟ دعهم يظنون هكذا. إذا كانت القوة تعني أن تُركّع عدوك، فمن فعل هذا أفضل مني؟ إنني ركّعتُ إدريس كوتشوفالي، فمن الأقوى الآن، أنا أم أنت؟ أنا سليم. ستتعلم أن تقول لي "يا بني" يا إدريس كوتشوفالي.



الحفرة تضيع من بين يدي

سار إدريس مضطرباً في شوارع الحفرة، وكان ينظر إلى الناس من وقت لآخر دون أن يرفع رأسه، وكان الناس ينظرون إليه وهم لا يعرفون ما حدث بينه وبين سليم. كانوا يفكرون في أوضاعهم فقط، فقد رهنوا بيوتهم لإحدى الشركات التي تم إغلاقها وهرب صاحبها، وهكذا ضاعت بيوتهم. كانت يلديز تجلس على الرصيف مع بعض النساء يبكينَ، ومرّ إدريس بجوارهنّ، فقالت يلديز:

- ساعدنا يا إدريس بابا.

لم يرد إدريس وقد أكمل طريقه وأثناء مروره من أمام دكان محيي الدين الحلاق، رأى مكا وكان ينظر إليه متوسلاً لكن إدريس تجاهل وجوده. كان كل الحي في هذه الهموم. دخل إدريس المقهى وجلس على الطاولة بلا حيلة.

في هذه الأثناء كان ناظم وإمره يجلسان في الفيلا المحاصرة بعدد كبير من الحراس، أمام شاشة الحاسوب التي يظهر فيها سليم وفارتولو وهم جالسان في غرفة أحد الفنادق. لم يتحمل ناظم وقال:

- كم سننتظر هكذا يا سليم؟

- حتى يكون متاحاً.

- هل تظنان أن ياماتش يجلس هكذا الآن ولا يجهز لشيء؟ إنه يبحث عنا في كل مكان. إذا لم نضغط على والدكم فلن يتغير شيء.

- لا تفعل شيئاً يا ناظم ولا تتصل بأحد.

- يبدو أن ظل إدريس ما زال فوقكما. هذا واضح جدا. لقد قمتما بعمل شيء دون إكماله. أنا سأبدأ الآن.

أمسك ناظم بالتليفون واتصل بالمحامي وقال:

- اذهبوا إلى الحفرة مع الشرطة وقوموا بإفراغ ثلاثة بيوت.

بعد قليل ذهبت سيارات الشرطة مع محامي ناظم وبدأوا في إفراغ البيوت.

الحفرة تموت يا بابا

كان إدريس يودّع أهل الحي، وقد وقف محيي الدين أمام دكانه ولم يكن قادراً على النظر في وجه إدريس من الخجل، فقال له:

- ألن تودعني يا محيي الدين؟

بكى محيي الدين وقال:

- لا أستطيع النظر في وجهك من الخجل. سامحنا، لقد حدث هذا بسببنا. أعرف ذلك.

- أنت سامحني، أنا الذي لم أعرف ولم أر.

جاء مكا غاضباً وقال محيي الدين:

- اهدأ يا مكا.

- لماذا يا أبي؟ لماذا وضعنا هذا الوشم على ذراعنا، ماذا يعني هذا الوشم يا إدريس بابا؟ إلى أين تذهب؟ الحفرة تموت، فإلى أين تذهب؟

- الحفرة ستعيش ونحن سنذهب يا ولدي.

ركب إدريس السيارة وذهب ثم جاء فارتولو ومعه سليم الذي قال بيقين:

- ليأت الجميع إلى هنا. انتهى رهن البيوت، وفارتولو سدّ ديونكم. لولا فارتولو لضعتم جميعاً.

قال سليم ذلك ثم ذهب بعيداً.



انتهت الحرب فهل أنت سعيد؟

انتهى كل شيء لكن فارتولو لم ينس ما فعله باشا. أرسل رجاله وخطفوه ووضعوه في البدروم. نزل فارتولو إلى جواره وقال له:

- هل تظن أنك ستهرب مني أيها الوزير السيئ؟ لقد جاء وقت الحساب. انظر، لم يبق أحد. انزل على ركبتيك الآن.

- لن أفعل هذا، إذا أردت فاقتلني. كل ما فعلتُه كان من أجل العائلة. هيا اقتلني، ولكن هل سترتاح هكذا؟

أخرج فارتولو سلاحه وفي هذه الأثناء جاء مدد راكضاً ومال على فارتولو وأخبره بأن سعادات تنتظره في المقهى. تغيّر وجه فارتولو وذهب راكضاً إلى المقهى وقال:

- أهلا بكِ.

- انظر، لم يبق أحد لقد أكلتَ الجميع.

- هل أنتِ أيضاً ستقولين مثلهم؟ هل جئتِ من أجل ذلك؟ اذهبي وقولي لإدريس وياماتش...

- لا يهمني أمرهما. انتهت الحرب. هل ستحاربني أنا أيضاً؟ حسناً، أنت انتصرتَ ولكن قل لي بصراحة، هل أنت سعيد؟

- قلتُ له إنني سأجلس على عرشه، وقد جلست بالفعل.

- هل أنتَ سعيد يا صالح؟

- كان يجب أن يسمعني، ماذا لو كان قَبِل كلامي. الحفرة من حقي. اسمي سعد الدين فارتولو. ليعلم الجميع اسمي، ويعاملني على هذا الأساس.

- هل أنت سعيد يا صالح؟

- ماذا سيفرق إن كنتُ سعيداً أم لا. إنني ضيعتكِ يا ساديش ولستُ سعيداً. هل من الممكن أن تبقي معي؟

- لن أبقى معك. ولكن هل من الممكن أن تأتي أنت معي؟

أمسكت بيديه ووضعتها فوق بطنها وقالت:

- أجب الآن.

تحمس فارتولو كثيراً وقال:

- سأصير أباً. سيصير لي عائلة. سأكون والداً

لطفل، وأمه لن تتركه أبداً، ولن يصير مثلي بلا أم.

بدأ فارتولو في البكاء ووضع رأسه على بطن سعادات وعانقها.

لن تأخذ ما هو لي

التقى ياماتش وإمره في أحد البارات، وقال ياماتش:

- ثناء ليست مريضة. أنت المريض.

- قلتُ لك إنك لا تستطيع أن تأخذ ما هو لي. من الآن فصاعداً سأتصل بك مرة في الشهر لكي ترى ثناء، ولكن لن تراها أكثر من ذلك. ومن وقت لآخر انظر في تليفونك، ربما أرسلت لك صورة لها.

كان ياماتش بلا حيلة ولا يدري ماذا يفعل.

إمره وناظم

ذهب إمره إلى أحد بيوت ناظم، كانا يلتقيان دائماً في هذا البيت. بعد أن سلم عليه قام ناظم بتحضير عصير البرتقال لإمره ووضع فيه السم.

أثناء فعله لذلك، كان إمره يُخرج السلاح الذي خبأه في هذا البيت من قبل، فقد خططا لقتل بعضهما. قال إمره:

- ما هي خطتنا الجديدة؟

- لا داعي لخطة جديدة. لقد ابتعد فارتولو عن عالمنا وبقي سليم بلا حيلة. لو لم تكن معنا لما انتصرنا. أثناء استخدامك لثناء قمتَ بتشويش فكر ياماتش وهكذا انتصرنا. سأسألك سؤالاً: "كيف يفعل الإنسان بأخيه هكذا؟".

- كان يجب أن أفعل هذا.

في هذه الأثناء جلسا على الطاولة وأعطاه ناظم كأس البرتقال وقال:

- ماذا كان يقول أبي دائماً، هل تعرف؟ كان يقول: "إنني أفكر في نفسي قبل الجميع. في كل حرب يفوز شخص واحد وهو الذي يعيش".

- هذا رأيي أيضاً. إذن نشرب هذا في صحة بايكال.

قام إمره بإطلاق الرصاص على أخيه من تحت الطاولة، واندهش ناظم كثيراً ولم يفهم ما يحدث ثم قال إمره:

- كان يجب أن أفعل هذا يا ناظم.

سقط ناظم على الأرض ووقف إمره وبعد أن مشي خطوتين سقط هو أيضاً على الأرضِ ميتاً ودون أن يعرف ما حدث.

شتات عائلة كوتشوفالي

انتقل إدريس وسلطان إلى بيت جديد، وأثناء جلوسهما أمام البيت جاءت سيارة نزلت منها عائشة وكاراجا فوقف إدريس مبتسماً وقد ارتاحا كثيراً عندما فعل هذا، وقاما بتقبيل يده. قال إدريس لعائشة:

- هل سليم من جاء بكما؟

- لا يا أبي.

- إنه يجلس في البيت طوال اليوم.

- نعم يا أبي، يجلس في البيت ليل نهار، يعزف الساز ولا يتحدث معنا. إنه ليس بخير يا أبي ونادم جدا لكنه يعرف أنه مهما فعل فلن يتغير شيء.

- آه يا سليم، آه.

كان سليم يجلس حقاً طوال البيت في الشرفة ولا يتحدث مع أحد، ويغني نفس الأغنية. يقوم أحياناً ليمشي في البيت قليلاً ويتخيل وكأنهم ما زالوا في البيت جميعاً. وفي أحد الأيام صعد إلى سطح البيت وقام بقطع شرايينه ثم أغلق عينيه ببطء.

توكات

كانت سعادات وفارتولو يعيشان في البيت الذي حلمت به سعادات في توكات، وكان مدد يعيش معهما أيضاً. يقضي فارتولو ومدد أغلب الوقت في الغناء وتقليم أوراق الشجر. وفي أحد الأيام أثناء جلوسهما بجوار البحيرة قال فارتولو:

- إنني سعيد للغاية يا مدد. سيصير لي ولد.

في هذه الأثناء سمعا صوت سعادات وهي تصرخ وتنادي على صالح. ركض فارتولو ومدد نحو البيت فوجدا رجالاً يحاصرون البيت وفي يد سعادات السلاح وكانت تقول:

- ساعدني يا صالح.

بدأ فارتولو في مهاجمة الرجال وأخذ السلاح منهم ثم أطلق الرصاص فنظر الرجال وسعادات إلى

ناحية الصوت وفي هذه الوقت أخذ الرجال السلاح من يد سعادات، وبدأوا يطلقون الرصاص على فارتولو ثم أخذ رجلان منهم سعادات إلى السيارة ولم يعرف فارتولو ماذا يفعل. كان يبكي ويصرخ قائلاً: "ساعدني يا مدد".

كان مدد بالقرب منه لكنه بلا سلاح، وقال:

- لماذا نعيش؟ إننا نعيش من أجل ألا يموت أخونا سعد الدين، يجب أن أفديه. ألق السلاح إليّ يا أبي.

رمى فارتولو السلاح إلى مدد الذي أغلق عينيه ونطق الشهادة ثم وقف وبدأ في إطلاق الرصاص لكن الرجال تركوا فارتولو واتجهوا نحو مدد فركض فارتولو نحو السيارة لإنقاذ سعادات لكنه تأخر. هاجم الرجال مدد، وكان يُطلق عليهم أيضاً. نظر فارتولو إلى الوراء فوجد الرجال على الأرض ومدد بينهم غارقاً في دمه فصرخ: "لماذا.. لماذا؟".

بناء مهجور

دخل عمي وباشا ومعهما إدريس إلى بناء مهجور، ولم يكن إدريس يعرف إلى أين يذهب. قال عمي:

- انظر يا إدريس، سنضع الطاولات هنا ومكان عمل الشاي في هذه الزاوية.

- ماذا تقول يا عمي؟

في هذه الأثناء أحضر باشا يافطة كُتب عليها "مقهى الأصدقاء" كانت من قبل يافطة مقهى الحفرة. ابتسم إدريس وقال:

- ما هذا، هل سرقتما المقهى؟

قال باشا:

- لم نسرقها، نحن من دفع ثمنها، فهل سنتركها هناك؟

قال عمي:

- ما رأيك يا إدريس، هل من الممكن أن نفعل هذا؟

تحمس إدريس وقال:

- نعم.

تأثروا جميعاً عندما تذكروا مقهى الحفرة، ووضع إدريس يديه على كتفيهما وقال:

- لو لم تكونا معي لما كنتُ أنا.

عانقهما إدريس وأثناء خروجهم بدأ إطلاق الرصاص عليهم من الخارج فنزلوا على الأرض ثم قام باشا لينظر إلى الخارج فقال إدريس:

- كم عددهم؟

رد باشا:

- كثيرون يا إدريس.

- هل هناك مخرج من الخلف؟

ذهب باشا ببطء وقبل أن يصل إلى الباب أطلقوا الرصاص هناك أيضاً فعاد مسرعاً ثم قال إدريس:

- يجب أن نخرج. بالتأكيد هاجموا البيت أيضاً. عائلتي تموت، يجب أن نخرج.

كان إدريس محقاً، فقد هاجمت مجموعة كبيرة بالفعل بيته من الحديقة، وأطلقوا الكثير من الرصاص. فكر إدريس وعمي وباشا في طريقة للخروج ثم اتخذ إدريس قراراً وقال:

- لا يوجد حل، سنخرج. هل نحن معاً حتى النهاية؟ هل أموت من أجلكما؟

قالا معاً:

- نحن معاً حتى النهاية. أنتَ تموت من أجلنا

بلا تفكير.

- وهل تموتان من أجلي؟

- بلا تردد.

وقفوا في نفس اللحظة وخرجوا من البناء المهجور.

في هذه الأثناء، جاء ياماتش ومعه عليشو إلى البيت فوجدا كل من جاء إلى العرس ملقى على الأرض. دخل عليشو إلى حديقة البيت وصرخ: "مستحيل.. مستحيل".

بدأ عليشو يبكي ويصرخ أما ياماتش فقد نظر إليهم ولم يعرف إلى أيهم يذهب ثم صرخ: "آآآه".

السقف فوق رؤوسنا والحفرة تحت أقدامنا

بدأت مرحلة جديدة في الحفرة. مُحيت علامة الحفرة من فوق جدران الشوارع ووضع مكانها علامة من جاؤوا بعد ذلك.

ذهب ياماتش إلى أحدهم وطلب منه أن يضع له وشم الحفرة على صدره، وقال الرجل لياماتش أثناء ذلك:

- ماذا يعني هذا الوشم، إنني لم أفهم حتى الآن.

لم يرد ياماتش وتذكر طفولته عندما كان يجلس مع عمي وكان يرسم له عمي علامة الحفرة على يده ويقول:

- في الأعلى يوجد سقف، وهذا يعني أنك إذا تعرضتَ لمشكلة فيجب أن تأتي إلى الحي وتدخل أي بيت من بيوته وأظهر لهم هذه العلامة فسيكون هذا البيت لك مثل بيت عائلتك. والنقطة الأولى من الأعلى هي عائلتك الحقيقية.

بعد ذلك تذكر ياماتش متين وهو يقول: النقطة التي في الوسط، هي عائلتك الكبيرة في الحي؛ الأصدقاء والأحباب. أنت تموت من أجلهم وهم يموتون من أجلك.

كما تذكر ياماتش كمال أيضاً وهو يقول: النقطة الأخيرة من الأسفل هي كل أهالي الحفرة.

ظلّ ياماتش يتذكر طفولته أثناء وضع الوشم، وتذكر عندما سأل عمي:

- هذا يعني أن لي الكثير من الأعمام والأخوال، أليس كذلك؟

- نعم.

ثم سأله ياماتش:

- وما هي العلامة التي في الأسفل تحت النقاط الثلاث:

- هذه هي الحفرة نفسها. العشُّ. لكل شخص منا عشّ، وعشُّنا هو الحفرة. انظر يا ياماتش، ماذا تقول هذه العلامة عندما تجتمع، هل تعرف؟ لا يوجد لدينا موت في عالمنا، إذا كان هذا السقف فوق رؤوسنا وتحت أقدامنا الحفرة، وكنا داخل العائلة... هذه مسألة مهمة للغاية. بعد أن تضع هذا الوشم، يمكنك الخروج من الحفرة، لكنها لن تخرج منك.

أنهى الرجل عمل الوشم لياماتش وقال:

- أين هي الحفرة يا أخي؟

- الحفرة في كل مكان.

نُعيد الحفرة أو نموت

كان فارتولو يمشي بين الناس بثياب رثة، وهو يطلب منهم بعض النقود لشراء الخبز.

بعد ذلك ذهب إلى مكان عيشه في بناء مهجور، وكان في وضع سيئ للغاية. دخل إلى البناء وجلس في

زاوية ثم سمع صوت ووجد ياماتش أمامه فقال:

- آخر ما قلتُه لي: "ليبتليك الله" وقد حدث بالفعل، هل أنت سعيد الآن؟

- عليك ديون كثيرة لي يا فارتولو. جئتُ لإغلاق حسابنا.

- ليس لدي غير روحي، خذها وخلصني.

- لا أريد، تلزمني روحك.

- ماذا تريد؟

- تعال معي.

مدّ ياماتش يده إليه فقال فارتولو:

- إلى أين؟

- إلى الحفرة. إما نعيدها أو نموت.

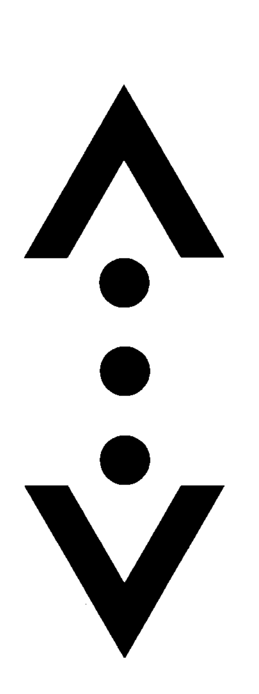
أمسك فارتولو بيد ياماتش وخرجا معاً، ورأى فارتولو شخصاً خلف ياماتش فقال:

- ومن هذا؟

- ستعرف في الطريق.

كان جمعالي يمشي في الأمام ومن خلفه ياماتش ثم فارتولو.





حاصلة على جائزة سيول الدولية للدراما عام 2019

ÇUKUR

GÖKHAN HORZUM







Designed by: MAHER ADNAN

حاصلة على جائزة سيول الدولية للدراما عام 2019



تقع أحداث هذه الرواية في "الحفرة"، وهو حي من أكثر أحياء إسطنبول اضطراباً. أسسه إدريس، رئيس عائلة كوتشوفالي الذي صار والداً لكلّ أهل الحيّ وليس لعائلته فقط. يتشكل المسار العام للرواية من خلال شخصية ياماتش، أصغر أبناء إدريس، الذي قرر أن يهجر عائلته وبيته ليبدأ حياة جديدة بعيداً عن حياة العصابات، لكنه يجد نفسه مضطراً للعودة إلى الحفرة من جديد، والتورُط في أحداثها وقبول الدور الذي كلّفته به العائلة والحي فيصبح بمثابة المُخلّص لهم من المخاطر التي يتعرضون لها. أبرز ما يميز هذا العمل أنه يتناول حياة العصابات في تركيا بشكل مختلف، ويناقش مسائل الروابط العائلية والعلاقات الإنسانية، حتى بين أبناء تلك العصابات.

احمد زكريا
&
ملاك دينيز اوزدمير





Designed by : MAHER ADNAN